١٩٥٢
الطبعة الحادية والعشرون

1952
Twenty-first Edition

الناشر
وكالة سترومبك
مولين، إلينوي

Published by
STROMBECK AGENCY, INC.,
Moline, Illinois

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

خلاصٌ هذا مقدارُه

So, Great Salvation

جميع الحقوق محفوظة لوكالة سترومبك ١٩٤٠

Copyright 1940

طبع في الولايات المتحدة الأمريكية

Published in the United States of America

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفهرس

I	أهمية الخلاص	٥
II	خلاص هذا مقداره	٧
III	خلاص عظيم جدا بمقارنته بالخلق	١١
IV	خلاص عظيم للغاية بالنظر إلى الخطيّة	١٤
V	التحرر من سلطان الظلمة	١٧
VI	لـنا فيــه الفـداء	١٩
VII	عدالة الله استوفت حقها	٢٣
VIII	متسربلون ببر الله	٢٥
IX	صرنا في وفاق مع الله	٣٠
X	حياة جديدة بطبيعة جديدة	٣٣
XI	خلصنا بحياته	٣٧
XII	العوائق ومحبة الله التى لا تسقط أبداً	٤٠
XIII	الذين نالوا الخلاص ومركزهم فى الأبديّة	٤٢
XIV	الخلاص من الله فى يسوع المسيح	٤٤
XV	الخلاص بالنعمة بالإيمان، وإلا فكيف يخلص الإنسان؟	٤٧
XVI	يقين الخلاص	٥٣
XVII	لماذا يهتم الله بخلاص الإنسان؟	٥٦
XVIII	الخلاص وعلاقته بسلوك الإنسان	٥٩
XIX	ماذا تعنى كلمة هالك؟	٦٢
XX	كيف ننجو إن أهملنا	٦٥

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كتب من تأليف جي إف سترومبيك

لنْ يَهلِكَ

النعمة والحقّ

خلاصٌ هذا مقدارُهُ

بالنعمَةِ نؤدَّبُ

الاختطاف أولا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الأول

أهميّـــة الخـــلاص

إن الله أبديٌ ، والقيم السرمدية توجد فيه وبدونه ليس ثمة قِيَم ، فكلُّ ما هو من الإنسان، وكلُّ ما ينتجه الإنسان ويملكه إنما هو وقتي زائل. ومعظم القيم الإنسانية ليست وقتيّة وحسب، بل وسريعة الزوال. يدوم بعضها عدة سنوات وبعضها الآخر قد يبقى لقرون يتمتع به مجتمع حديث، ولكن بالنسبة لأى فرد، فليس من قيم دنيوية يمكن أن تتبعه إلى ما وراء أبواب القبر الذي يتلقفه.

وبما أنه ليست هنالك قيم أبدية بمعزل عن الله، فإن الإنسان يمكنه أن يمتلك هذه القيم فقط حين يصبح مرتبطاً بالله. فبالخطيئة ولا نعني بها أساساً خطايا كل فرد على حدة، بل الخطيئة الأصلية التي اقترفها آدم وأصبح الجنس البشري برمّته منفصلاً عن الله. ولا يمكن للإنسان بنفسه بأي إصلاح يقوم به أو بأي عمل صالح يقوم به أن يسترجع علاقته مع الله. ليس هناك إلا طريقة واحدة أمام الإنسان للمجيء إلى الله ألا وهي من خلال ذاك الذي انحدر من السماء ونزل إلى العالم كمخلص للبشر. ومن خلال الخلاص الذي يقدمه الله بيسوع المسيح، ومن خلال ذلك فقط، يمكن أن يرتبط الإنسان بالله وهكذا يشارك في قيمه السرمديّة. قال يسوع: "وأمّا أَنَا فَقَدْ أَتيتُ لِتكونَ لهُمْ (أي لأولئك الذين سيسمعونه) حَيَاة وَلِيَكونَ لهُمْ أَفضَلُ" (يوحنا ١٠:١٠). والحياة التي من أجلها أتى يسوع ليهبها للإنسان وبوفرة هي أبدية بقيمها.

لقد نادى قسم كبير من الكنيسة المسيحية وإلى حد بعيد مذهل اهتمامهم بوفرة الحياة المادية والزائلة إلى درجة إقصاء الحياة الروحية والأبدية. وهم يدافعون عن مبدأهم على نطاق واسع هذه الأيام. ويزعمون انّ الحياة والحياة الأفضل ، تشمل الأمور المادية الزائلة. وحلّ الإصلاح الأخلاقي والنهوض الاجتماعي والمشاكل الاقتصادية محل إعلان الخلاص الذي يقدمه الله مجاناً للنسل البشري المبتلي بالخطيئة والذي يسير بسرعة هائلة نحو الانفصال الأبدي عن الله وعن كل ما يفيض منه من بركات روحيّة.

وحتى في المكان الذي نرى فيه الحاجة للخلاص وهى تظهر بجلاء ووضوح نجد في أحوال كثيرة، أن القيم الزائلة والمؤقتة المنحدرة من ذلك، على شكل حياة مُصلحة وبيوت متجددة، تأتي المناداة بها بصوت أعلى، في حين أن القيم الروحية والأبدية التي تأتي إلى الفرد هي في أحيان كثيرة، نعم كثيرة جداً، قليلٌ ذكرها وتُعطى قيمة أقل بكثير مما تستحق أساساً.

يتم التشديد في العصر الحاضر على رفع الجنس البشري من حالته المتردية وهذا أصبح أحد أوجه التفاعل مع القيم الزائلة. وبالمقابل، فإن تأكيد الله، كما نجد في الكتاب المقدس، هو على معالجة مشكلة الخطيئة البشرية وكل تبعاتها على أساس القيم الأبدية. وهذا من خلال الخلاص.

إن الأعمال الخيرية الاجتماعية وكل الإصلاح الأخلاقي، ومهما بدا مناسباً في الوقت الحاضر، لا يفيد الرجال والنساء فيما وراء حدود القبر، وليس القبر نهاية الإنسان. فإن له روحاً خالدة مستمرة بالحياة إلى الأبدية. إن الخلاص الذي أنجزه الله، الله وحده، بيسوع المسيح هو الذي يبقي تلك الروح الإنسانية التي لا تموت ويأتي بها إلى حالة مباركة مجيدة بلا قياس أو حدود أو نهاية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

كان هناك إدراك، في كل عصور التاريخ البشري، بأن هناك وجود وراء القبر فيه يستمتع الإنسان بمسرة الكائن الأسمى أو يكون عرضة لحنقه. والميثولوجيا مليئة بهكذا مفهوم. كان الهنود الأمريكيون[١] يتوقون إلى أراضي الصيد السعيدة. وكان الاسكندنافيون القدماء[٢] يعيشون على أمل الذهاب إلى فالهالا[٣]. ويعبد الصينيون أرواح أسلافهم. ويعتقد الهندوس بتقمص الأرواح، مؤمنين بأن روح الإنسان تبقى في الوجود بعد الموت ولكن في جسد حيوانٍ ما حتى تتطهر وتعود إلى الله، مصدر كل الأشياء. ونادراً ما تجد رجلاً أو امرأة يحيا الآن ولا يتأمل في أعماق قلبه من حين إلى آخر بأن له وجود مستقبلي.

وهناك إجماع في الرأي أيضاً على أن حالة الإنسان الأبدية المستقبلية معروفة ومحددة بالنسبة إلى كل فرد بينما هو لا يزال في الحياة الحاضرة. وعند طرح السؤال عما يحدد حالة الفرد المستقبلية، نجد آراء كثيرة مختلفة. فمن جهة، كل أديان العالم دون استثناء تقدم للإنسان حالة من البركة أو النعيم الأبدي أو ارتياحاً من المعاناة ثواباً له على أمر يفعله. وكثير ممن لديهم ما يدعى الفكر المسيحي ينتمون إلى هذه المجموعة. ومقابل هذا الاعتقاد، نجد أن الله يقدم للإنسان، ولمجرد القبول فقط، خلاصاً مجانياً، لا يتطلب سعياً لاكتسابه، وبصرف النظر عن الخطايا التي يرتكبها الإنسان والإخفاقات التي قد يمر بها. فمن يقتبل هذا الخلاص يضمن فرحاً أبدياً في اتحاد مع الله لا انفصال فيه.

إن استبدال قيم الله الأبدية في الخلاص العظيم بقيم زائلة وعابرة يفقد الإنسان أعظم هبة أعطيت له على الإطلاق. ولأن قسماً كبيراً من رئاسة الكنيسة المعترفة تفعل الشيء ذاته، فإن أولئك الذين هم خارج الكنيسة، إن لم نقل معظم الذين في داخلها، لا يسمعون البتة بالأمور الأبدية التي يقدمها الله مجاناً للإنسان، ولا يعرفون على الإطلاق كيف يمكنهم الحصول عليها.

إن البشر في كل مكان يدركون الآن، وكما لم يفعلوا أبداً من قبل، تقلب وعدم استقرار القيم الزائلة والمادية ويتطلعون إلى قيم ثابتة يضعون ثقتهم فيها. وإن الجواب الوحيد على هذا التطلع نجده في القيم الروحية المطلقة؛ ألا وهي قيم الله السرمدية.

وبما أنه بالخلاص فقط يمكن للإنسان أن يكون على علاقة مع الله وأن يشارك في قيمه الأبدية، فإن الخلاص يجب أن يكون الموضوع الأهم الذي ينبغي على الإنسان أن يفكر فيه.

إن كل ما نعرفه عن الخلاص قد تعلمناه بشكل مباشر أو غير مباشر من الكتاب المقدس، وليس من مصدر آخر يتناول هذا الموضوع العظيم. ومن هنا، فإن هذا الموضوع الذي يعلمنا إياه الكتاب المقدس، يجب أن نقبله إذ يكشف للإنسان معنى الخلاص وكيفية الحصول عليه. ومن هذه الناحية إذاً، فإن آراء الإنسان لا تنفعه شيئاً. لذلك فإن الفصول التالية تتبع تعاليم الكتاب المقدس بأمانة على نحو وثيق. وما الغاية من هذا الكتاب إلا إيراد بعض الحقائق البارزة المتعلقة بالخلاص وتقديمها للقارئ بلغة العلمانيين.

---

[١] – الهنود الأمريكيون: (American Indians): هم سكان أمريكا الأصليون.

[1]– الاسكندنافيون القدماء: (Norsemen): وأيضاً يُدعون (Northmen): هم اسكندنافيو العصور الوسطى خاصة الفايكنغ (Viking).

[٢]– فالهالا: (Valhalla): أو (Walhall, Walhala): هي المكان، بحسب الميثولوجيا الاسكندنافية، حيث تذهب أرواح الأبطال الذين سقطوا في المعارك لتعيش في الأبدية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثانى

خلاصٌ هذا مقداره

جديرٌ بنا، من البداية، أن نأتي إلى فهم واضح للتعبير "خلاص" كما يُستخدم هنا. يُعرّف قاموس ويبستر كلمة "خلاص" على النحو التالي:

١. "عمل إنقاذ أو تحرير – حفظ من الدمار أو الكارثة".

٢. "في اللاهوت: انعتاق من عبودية ونتائج الخطيئة؛ تحرير من الخطيئة والموت الأبدي".

فالخلاص إذاً هو انعتاق من الخطيئة وكل تبعاتها. إنه صونٌ من الدمار أو الكارثة. ولأنه حفظٌ، فإن الخلاص لا يمكن أن يكون مجرد خبرة عابرة مؤقتة. إنه أمرٌ يثبت.

ولكن الخلاص قد يشتمل على أكثر من فكرة التحرر من عبودية وتبعات الخطيئة والوقاية من الدمار. إنه يشتمل أيضاً على العمل الذي يقوم به الله ليأتي بالإنسان إلى حالة الكمال، الحالة التي يريدها الله لكل من خلصوا من عواقب الخطيئة.

يتضح لنا من خلال قراءة متأنية للكتاب المقدس أن الخلاص لا يعني نفس الأشياء في كل عصر. في جميع العصور، إن الخلاص من تبعات الخطيئة والانعتاق من الموت الأبدي يبقى على حاله. ولكن ما من عصر تسود فيه فكرة أن الله يخلص الإنسان بشكل مؤقت ويسمح له بأن يرتد إلى حالة الضلال السابقة. ولكن نجد في قصد الله لأولئك الذين يخلصون أن البون واسع في الخلاص في مختلف العصور.

ففي وقت ما من المستقبل "... سَيَخْلُصُ جَمِيعُ إِسْرَائِيلَ. كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: سَيَخْرُجُ مِنْ صِهْيَوْنَ الْمُنْقِذُ وَيَرُدُّ الْفُجُورَ عَنْ يَعْقُوبَ." (رومية ١١:٢٦)، انظر حزقيال ١١: ١٩، ٢٠[١] و ٣٦: ٢٤ – ٢٨[٢]). وفي هذا الخلاص كل إسرائيلي، أي الشعب بأكمله، يخلص ويدخل إلى ملكوت أرضي. وإذاً ليس في هذا الخلاص ماله علاقة بالسماء لأن إسرائيل يبقى شعباً أرضياً دنيوياً.

وهناك مجموعة أخرى ستخلص خلال فترة السنوات السبع التي تلي الدهر الحالي وتسبق تأسيس الملكوت المذكور أعلاه. وعلى الأقل نصف هذه المدة ستكون زمن "... ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ابْتِدَاءِ الْعَالَمِ إِلَى الآنَ وَلَنْ يَكُونَ." (متى ٢٤: ٢١). وخلال تلك الفترة "... جَمْعٌ كَثِيرٌ لَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ أَنْ يَعُدَّهُ، مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَالْقَبَائِلِ وَالشُّعُوبِ وَالأَلْسِنَةِ..." سيخلصون. ومصيرهم

[١] – (حزقيال ١١: ١٩، ٢٠): "وَأُعْطِيهِمْ قَلْباً وَاحِداً, وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحاً جَدِيداً, وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ لِيَسْلُكُوا فِي فَرَائِضِي وَيَحْفَظُوا أَحْكَـامِي وَيَعْمَلُوا بِهَا, وَيَكُونُوا لِي شَعْباً فَأَنَا أَكُونُ لَهُمْ إِلهاً".

[٢] – (حزقيال ٣٦: ٢٤ – ٢٨): "وَآخُذُكُمْ مِنْ بَيْنِ الأُمَمِ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ جَمِيعِ الأَرَاضِي وَآتِي بِكُمْ إِلَى أَرْضِكُمْ. أَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ. وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً, وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ, وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِكُمْ وَأُعْطِيكُمْ قَلْبَ لَحْمٍ. وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ, وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي وَتَحْفَظُونَ أَحْكَـامِي وَتَعْمَلُونَ بِهَا. وَتَسْكُنُونَ الأَرْضَ الَّتِي أَعْطَيْتُ آبَاءَكُمْ إِيَّاهَا, وَتَكُونُونَ لِي شَعْباً وَأَنَا أَكُونُ لَكُمْ إِلهاً".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هو أن يكونوا "... أَمَامَ عَرْشِ اللهِ وَيَخْدِمُونَهُ نَهَاراً وَلَيْلاً فِي هَيْكَلِهِ ..." (رؤيا ٧: ٩ – ١٧). قصد الله هو أن يكون المخلصون في تلك الفترة أناساً سماويين، ولكنهم سيكونون خداماً في معبده.

قال يوحنا المعمدان عن نفسه أنه صديق العريس (يوحنا ٣: ٢٩)[١]. وبما أنه آخر أنبياء العهد القديم، فإن هذا يوحي بأن مكانة القديسين في العهد القديم، بالنسبة لعلاقتهم بالمسيح، ستكون كأصدقاء للعريس.

وهؤلاء الذين يخلصون في عهد النعمة الحالي (الذي بدأ بعد موت يسوع المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء، والذي سيختم قبل بدء فترة الضيق) يُقال أنه قد قُدِّرَ لهم مسبقاً أن يتحولوا إلى صورة ابن الله (رومية ٨: ٢٩)[٢]. إنهم يُدعون جسد المسيح (كولوسي ١: ٢٤)، وكنيسته (أفسس ٥: ٢٥– ٣٢). ينبغي أن يصبحوا واحداً مع الله الآب كما هو والابن واحد (يوحنا ١٧: ٢١). وهذا أعلى مستوى يمكن أن ترتقي إليه مخلوقات الله على الإطلاق.

إن التعبير "خلاص"، بالمعنى الذي ينطبق فيه على العصر الحالي، والمقدم لأولئك الذين على قيد الحياة الآن، سنتناوله بالبحث في الصفحات التالية.

خلاص عظيم لما يتضمّنه

لكي يضع من يخلص في هذا المكان الرفيع المستوى، يعمل الله أشياء كثيرة لأجله ومعه. بعض هذه الأشياء سنذكرها هنا. وسيتم شرحها في فصول لاحقة من الكتاب. هناك انعتاق من سلطان إبليس، الذي يُدعى سلطان الظلام، وخلاص من لعنة أو جزاء ناموس الله المقدس. إن التعديات كلها تُغفر. وذاك الذي يخلص يتصالح مع الله ويأتي إلى حالة سلام معه. إنه يُولد ثانية من الله ويحظى بحياة أبدية. إنه يصبح جزءاً من الخليقة الجديدة بيسوع المسيح. ويُعطى له الروح القدس ليسكن فيه إلى الأبد ويُختم أيضاً بنفس الروح القدس. يُمنح مكانة كاملة أمام الله بسبب الأهلية بيسوع المسيح ويوضع تحت عناية الله الحافظة والواقية التي تهتم بكل حاجاته الروحية. وتُصار الوقاية للتحرر من الخطيئة في حياته الأرضية. ويصبح موضع شفاعة ودفاع ابن الله أمام أبيه. ويصير عرضة لتطهير الآب. وبالنسبة له سينال انعتاقاً للجسد من الفساد والفناء. ويتحول إلى صورة ابن الله ويتّحد مع الله الآب والله الابن. وسيستمتع بمحبة الله له طوال الحياة الأبدية.

كل هذه الأشياء ينالها الإنسان بحصوله على الخلاص من الله، هذا الخلاص الذي أعدّه الله يعطيه مجاناً للإنسان في الدهر الحاضر. وفي هذا تكمن عظمة لا يسبر العقل البشري غورها، ولكن يمكن للمرء أن ينال كل ذلك بمجرد القبول به.

---

[١] – (يوحنا ٣: ٢٩): "مَنْ لهُ العَرُوسُ فهُوَ العَرِيسُ وَأَمَّا صَدِيقُ العَرِيسِ الَّذِي يَقِفُ وَيَسْمَعُهُ فَيَفْرَحُ فَرَحاً مِنْ أَجْلِ صَوْتِ العَرِيسِ. إذاً فَرَحِي هَذَا قَدْ كَمَلَ".

[٢] – (رومية ٨: ٢٩): "لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بِكْراً بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عظيم جداً لأنه مُتاحٌ لكل البشر

بينما الخلاص لا يكون على حاله في كل الأزمان والعصور، فإنه وبشكل أو بآخر قد تحقق لكل البشر وصار مُتاحاً لكل عضو في الجنس البشري. والآيات التالية تبين أن الخلاص هو لكل البشر.

"وَفِي الْغَدِ نَظَرَ يُوحَنَّا يَسُوعَ مُقْبِلاً إِلَيْهِ فَقَالَ: «هُوَذَا حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ (البشرية")". (يوحنا ٢٩:١)

"لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ (البشرية) حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ." (يوحنا ١٦:٣)

"لأَنَّ خُبْزَ اللَّهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ الْوَاهِبُ حَيَاةً لِلْعَالَمِ". (يوحنا ٣٣:٦)

"وَأَنَا (يسوع) إِنِ ارْتَفَعْتُ عَنِ الأَرْضِ (على الصليب) أَجْذِبُ إِلَيَّ الْجَمِيعَ". (يوحنا ٣٢:١٢)

"... بِبِرٍّ وَاحِدٍ (يسوع المسيح) صَارَتِ الْهِبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ". (رومية ١٨:٥)

"أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ (على الصليب) مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعاً فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ". (٢ كورنثوس ١٩:٥)

"الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ". (١ تيموثاوس ٤:٢)

"الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ، الشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ" (١ تيموثاوس ٦:٢)

"لأَنَّنَا لِهَذَا نَتْعَبُ وَنُعَيَّرُ، لأَنَّنَا قَدْ أَلْقَيْنَا رَجَاءَنَا عَلَى اللهِ الْحَيِّ، الَّذِي هُوَ مُخَلِّصُ جَمِيعِ النَّاسِ وَلاَ سِيَّمَا الْمُؤْمِنِينَ" (١ تيموثاوس ١٠:٤)

"لأَنَّهُ قَدْ ظَهَرَتْ نِعْمَةُ اللهِ الْمُخَلِّصَةُ لِجَمِيعِ النَّاسِ" (تيطس ١١:٢)

"وَلَكِنَّ الَّذِي وُضِعَ قَلِيلاً عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، يَسُوعَ ... لِكَيْ يَذُوقَ بِنِعْمَةِ اللهِ الْمَوْتَ لأَجْلِ كُلِّ وَاحِدٍ" (العبرانيين ٩:٢)

"وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يوحنا ٢:٢)

"وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنَا وَنَشْهَدُ أَنَّ الآبَ قَدْ أَرْسَلَ الابْنَ مُخَلِّصاً لِلْعَالَمِ" (١ يوحنا ١٤:٤)

كل هذه المقاطع تعلّمنا توافر إمكانية الخلاص لكل إنسان، ولكن لا تقول أن كل الناس سيخلصون. فمن الممكن أن ينبذ أحدهم على نحو فاجع أو يهمل خلاصاً عظيماً كهذا ويضلّ إلى الأبد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عظيم جداً لما تطلَّب إنجازه

إن عظمة الخلاص تبدو واضحة أيضاً عندما نقارن ما فعله الله عند خلقه الكون مع ما فعله لخلاص الإنسان. فعندما خلق الله السماء والأرض تفوه بكلمة فأتت هذه إلى الوجود. "بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَاوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا" (المزمور ٦:٣٣). "... أَنَّ السَّمَاوَاتِ كَانَتْ مُنْذُ الْقَدِيمِ وَالأَرْضَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ قَائِمَةٌ مِنَ الْمَاءِ وَبِالْمَاءِ" (٢ بطرس ٥:٣). ونجد أن هذه الكلمات ومرادفاتها تتكرر سبع مرات في الإصحاح الأول من سفر التكوين: "وقال الله ليَكُنْ...." وفي كل مرة كان يتحقق كل ما كان يأمر به.

لم يخلق الله السموات والأرض بقوة كلمته وحسب، بل كان يسيطر على الأشياء بنفس القوة: (عبرانيين ١: ٣). وكل ما يمكن للإنسان أن يراه على الأرض وكل الحياة التي عليها، وكل قوى الطبيعة ونجوم السماء في مساراتها الخاصة بكل منها، تسيطر عليها قوة كلمة الله. وكل هذا يعكس قدرته الكلية.

ولكن الله – ونقول ذلك بجلال ووقار – لم يمكّنه بقوة كلمته وحدها أن ينجز الخلاص للإنسان. صحيح أن الإنسان يولد من جديد ببذرة غير قابلة للفساد بكلمة الله (١ بطرس ١: ٢٣)، ولكن هذا ممكن فقط بفضل العمل الكفاري اللامتناهي الذي قام به الله بدافع محبته.

أما أسباب ضرورة وتأثير هذا العمل الكفاري لله فسوف نتناولها بالتفصيل في الفصل السادس. ونأتي على ذكره هنا لنظهر أنه لولاه لما أمكن لله بكمال قدرته أن يخلص الإنسان. لاحظ في المقاطع الكتابية التالية أن ما فعله الله كان مشروطاً ببذل ابنه وأن هناك تأكيد على موضوع موت الابن.

" لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ١٦:٣). وبدون بذل "الابن الوحيد" كان الناس سيهلكون وما كانوا ليقدرون على نيل الحياة الأبدية.

"فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضاً كَذلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ، وَيُعْتِقَ أُولئِكَ الَّذِينَ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعاً كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ" (عبرانيين ١٤:٢–١٥). فبموت يسوع المسيح أُبيدَت أعمال الشرير وتحرَّرَ الإنسان من خوف الموت.

"فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ، مُمَاتاً فِي الْجَسَدِ وَلكِنْ مُحْيىً فِي الرُّوحِ" (١ بطرس ٣: ١٨). لو لم يُمات المسيح لما كان بإمكانه أن يأتي بالإنسان إلى الله.

"لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٢١:٥). فقط بحمل المسيح خطايا الإنسان ودفعه الجزاء عنها بموته يمكن لله أن يحسب الخاطئ بارّاً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"اَلْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا ... لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ" (غلاطية ٣:١٣-١٤). فالمسيح وقد جُعِلَ لعنة عن الإنسان هو الشرط لأخذ الروح القدس بالإيمان.

"اَلَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ"(تيطس ٢:١٤). وبدون موت المسيح إذاً ما كان أحد ليستطيع أن يعمل أعمالاً صالحة في عيني الله.

"... بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ (يسوع المسيح) سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً"(رومية ٥: ١٩). وهذه الطاعة نجد تعبيراً عنها كما يلي: "اَلَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً لِلَّهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِراً فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ" (فيلبي ٢: ٦ – ٨).

إن الآيات الآنفة الذكر توضح بشكل لا لبس فيه أن الخلاص ما كان يمكن أن يتحقق من دون بذل ابن الله حياته بالموت.

فمن منزلته الرفيعة في المجد تكلم ابن الله وأتت السموات والأرض إلى الوجود. وعندما توجب خلاص جنس بشري عاصٍ وضال، فإن ذاك الذي صنع الكون هجر مكانه في المجد. واتخذ صورة إنسان خاطئ وبذل حياته بالموت على صليب الجلجثة ليعتق الإنسان من سلطان إبليس وليفتديه من لعنة (عقاب) تعدي الناموس لكي يخلص الله بالنعمة الإنسان ويعيده إليه.

وبدون محبة الله اللامتناهية، والتي كان موت ابنه أكبر تعبير عنها، ما كان هناك خلاص.

ولكن الخلاص لم يكن فقط بمحبة الله التي تبدّت في بذله لابنه. إنها أيضاً بقوته. في رسالته إلى المسيحيين في أفسس كتب بولس الرسول يقول أن الله يبذل قدرته من أجل كل الذين يؤمنون. وهذه القدرة هي ذاتها التي بذلها الله في إقامة المسيح من بين الأموات وفي إقامته له على يمينه "... فَوْقَ كُلِّ رِيَاسَةٍ وَسُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ وَسِيَادَةٍ، وَكُلِّ اسْمٍ يُسَمَّى لَيْسَ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَقَطْ بَلْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَيْضاً" (انظر أفسس ١: ١٩ – ٢١). وليس من مكان آخر نجد فيه وصفاً أعظم من هذا لقدرة الله.

إن كان ذلك الخلاص قد تطلب موت ابن الله وبذل الله لكامل قدرته لتحقيقه، فهو بلا شك "خلاصٌ عظيمٌ هذا مقداره".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثالث

خلاصٌ عظيمٌ بمقارنته بالخلق

يعسر على الإنسان في جسده الفاني الحالي أن يفهم تماماً عظمة الخلاص، ولكن يمكن رؤية بعض عظمته بمقارنته، أو بالحري مقابلته، مع الخلق. إن الخلاص والخلق كلاهما من عمل الله، وبه حصرياً."في البدء خلق الله السماوات والأرض" (تكوين ١: ١). وهكذا جاء الله بكل شيء وبكل القدرة إلى الوجود.

إن السموات هي مِن صُنع إصبع الله، وهو الذي أقام القمر والنجوم (نظر المزمور ٨: ٣). وهذا لا يتضمن فقط ما يمكن للإنسان أن يراه بعينه المجردة، بل كل ما هو وراء مجال أقوى مِقراب. إن اتساع ذلك يفوق إدراك البشر.

ثم لنتأمل الأرض بصخورها وجماداتها وحياتها الماضية كما يرد تسجيلها في المستحاثات. فهناك الأحجار الثمينة، والألماس، والياقوت، والصّفير[١]، والزمرد، ولكل منها جماله الخاص وافتتان بشري به. وهناك أيضاً المَرمَر، والغرانيت، والحجر الرملي، وحجر الجير، والأردواز التي يستخدمها الإنسان لبناء منازلهم وأماكن عبادتهم، ومكا ترفيههم ومكان عملهم. فمن الأرض يُخرج الإنسان المعادن الخام وحتى المعادن الخالصة كالذهب والنحاس. وبعملية الصهر والنتقية ينتج معادن تشكل العمود الفقري في مشاريعه الصناعية والعمرانية الواسعة. وتربة الأرض عندما تُبذَر بالحب وتتعرض للرطوبة وضوء الشمس فإنها تعطي طعاماً للإنسان وللحيوان على حد سواء.

تخبرنا المستحاثات، رغم صمتها، قصة بليغة عن عصور ما قبل التاريخ عندما كانت الوحوش والبهائم تجول الغابات البدائية. وبعض الغابات، رغم توضعها طبقات فوق بعضها البعض، يبقى محفوظة بجذور أشجارها الضخمة في الصخر القاسي كالألماس. وتُعلن طبقات الفحم للإنسان أنه منذ عصور قديمة كانت هناك أدغال استوائية وافرة النمو على سطح البسيطة.

كل هذه الصخور والمعادن لها مميزاتها الخاصة بها وكل منها نجدها على نفس الحال دائماً. إنها جميعاً عرضة لقوانين ثابتة ومحددة في الكيمياء والفيزياء، كثيرٌ منها كان معروفاً للإنسان مذ زمن طويل وبعضها الآخر كان يتم اكتشافها بشكل مطرد على الدوام. ولربما يطرح السؤال، عَرَضاً، أن كيف اكتسب كل من هذه المعادن والمواد غير العضوية ميزاتها الخاصة بكل منها؟ ما الذي أعطى لكل معدن عامل التمدد الخاص به، وثقله النوعي المعين، ودرجة انصهاره، وناقليته للحرارة أو الكهرباء، وقوة الشد، والقساوة أو الليونة، والتماسك أو الهشاشة، والصلابة أو المرونة؟ هذه كلها ثابتة ومحددة يحاول المؤمن بنظرية النشوء أن يفسر ميزات وعادات حياة النبات والحيوان بالادعاء بالتغييرات التي حدثت بالصدفة من جيل إلى آخر عبر آلاف مؤلفة من الأجيال. إن قوانين الفيزياء والكيمياء معقدة كتلك المتعلقة بالنباتات أو الحيوانات والخصائص للمواد العضوية وغير العضوية. ولكن ليس من أجيال يمكن أن تنتج تنوعاً في عالم المواد غير

[١] – الصّفير: (Sapphire): ياقوت أزرق غامق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

العضوية. فكتل القصدير والحديد والرصاص والنحاس والفض الخام، والرخام والغرانيت، وغيرها قديمةٌ كالجبال ذاتها. فمن أين جاءت هذه المواصفات الثابتة والقوانين؟ ليس هناك إلا جواب واحد: الله في عمل الخلق أوجد كل عنصر بخصائصه المميزة الثابتة وجعله خاضعاً لقوانين كيميائية وفيزيائية ثابتة.

لعل الإنسان يستطيع أن ينقب في أسرار الجيولوجيا ويكتشف الكثير ولكن الموضوع واسع جداً بحيث أنه لا يزال هناك الكثير ليتعلمه المرء.

ولنتأمل حياة النبات على نفس المنوال. ونلاحظ كيف تُظهَر قوة الله الخلاقة. إن أشجار الجبّارة[1] الضخمة في سواحل المحيط الهادي قابعة هناك منذ قرون. وشجر التنّوب والصنوبر في الشمال، والنخيل في الجنوب وكل الأشجار الأخرى تخدم كل منها بدورها الإنسان بطريقتها الخاصة وتبقى على حالها لا تتغير لأنه هناك قوانين للحياة فيها لا تتغير. وكذلك الأمر النباتات التي تنتج الحبوب، والنباتات التي تمد جذورها بأسباب الحياة، وأخرى غيرها، حيث نتناول أوراقها طعاماً لنا، وهي كلها قد منحها الخالق ميزاتها الخاصة. وإلى ذلك هناك نباتات أخرى تعطي أزهاراً تغني حياة الإنسان كالورود والزنبق. ولكل نبات بيئة ينمو فيها: فالأشنيات على الصخور الصلبة، والتبغ الهندي على الجذوع البالية للصنوبر المتهاوي إلى الأرض، والهذال فوق أغصان الأشجار العالية، والشوكران الأرضي في الظلال الكثيفة، والقصعين في الصحاري، والنباتات الحبّية في الترب الغنية المعرضة للشمس، واللوتس والتيفا في المياه الضحلة وعشب البحر في قاع المحيطات.

نعم، إن حياة النبات هي جزء هام من خليقة الله يستطيع الإنسان أن يدرسه ويستوعبه، ولكنه أيضاً، من السعة بمكان حتى بعد ستة آلاف سنة من وجود البشر على الأرض، حتى أن أجيالاً عتيدة ستتعلم عنها.

والأمر سيّان فيما يخصّ عالم الحيوان، من أصغر الحشرات اللافقارية حتى أضخم الثدييات، التي نعتبر الفيلة والحيتان منها. هذه كلها صنعها الله، كل بحسب نوعه (تكوين ١: ٢١). سواء كانت طيوراً في الجو، أو أسماك في البحار أو وحوش الأرض أو الدبابات التي تزحف على الأرض. لهذه أيضاً وهب الله الحياة، ولكن نظام أرقى منه عند النباتات. فهذه كلها يمكن أن تتحرك وتتجول في الفضاء، أو في الماء، أو على وجه الأرض. ولكل حيوان ميزاته الخاصة به وغرائزه وعاداته الحياتية، وهو متأقلم تماماً مع بيئته الخاصة. لقد كتب البشر كتباً عن علم الحيوان امتلأت بها المكتبات ولكن لا يزال هناك الكثير لنتعلمه واكتشافات جديدة نقوم بها كل عام. وهذه بدورها أيضاً، ما هي إلا جزء يسير من خلق الله.

الإنسان هو ذروة عمل الله في الخلق. فعلى صورته خلقه، ونفخ فيه نسمة الحياة (تكوين ٢: ٧). وأعطى الله للإنسان القدرة على التناسل ووهبه الأرض ليخضعها. وأعطى للإنسان أيضاً أن يتسلط على سمك البحر، وطير السماء، وكل الدبابات التي تدب على الأرض (تكوين ١: ٢٦ – ٣٠).

---

[1] – أشجار الجبّارة: (redwoods): أشجار طويلة ذات خشب أحمر اللون تنمو على شواطئ كاليفورنيا وقد تصل في ارتفاعها إلى أكثر من ١٠٠ متراً (٣٣٠ قدماً).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أُعطي للإنسان الذكاء وقوة العقل لكي يكون قادراً على سبر أغوار الكثير من أسرار الخلق وليكتشف المزيد كل يوم. لقد تعلم أن يستخرج الفحم من الأرض وأن يضرم النار تحت مرجل مملوء ماءً وبهذا يسيّر القطارات الثقيلة. إنه يستخرج النفط الخام بالضخ من باطن الأرض، ويكرره، ويستخدمه ليقود الطائرات في الجو بسرعة ميل خلال بضعة ثوانٍ. وباستخدامه لأدوات البث والإرسال وأجهزة استقبال أخرى يرسل الإنسان صوته عبر الأثير فيستطيع الناس في واشنطن ولندن وباريس وبرلين أن يتحاوروا مع بعضهم وكأنهم في غرفة واحدة. إنه يستخدم الأشعة السينية يتفحص عظام أخيه الإنسان. ويطلي فيلماً، ويضع في كاميرا التصوير ويفتح مصراع الكاميرا بسرعة جزء من مئة ألف من الثانية ويصنع سجلاً متكاملاً لكل ما يجري أمام العدسة. وينظر الإنسان عبر المرقاب إلى النجوم والقمر. ويحدد سرعة انتقال الضوء. ويحدد أيضاً سرعة دوران الشمس والقمر في مداراتها الخاصة. وعلى نفس المنوال يرصد حركة الأرض ومن خلال كل هذه المعطيات يتنبأ بما يحدث قبل سنين أو ربما قرون، ويحدد بأجزاء من الثانية متى سيحدث كسوف الشمس أو خسوف القمر، وفيما إذا كلن كلياً أو جزئياً، ومن أي مكان على وجه الأرض يمكن رؤيته. هذه إنما بصفة إبداعات قد تكون أضعاف ذلك بما لا حد له.

أنّى للإنسان أن يصنع كل هذا؟ لأن الله وهبه الذكاء ولأن هناك قوانين ثابتة وغير متبدلة في الكون تكشف عن عقل خلاّق وبالتالي أن الله وراء كل ذلك. فذاك الذي خلق السماء والأرض وثبت القوانين لأجل خليقته هو نفسه خلق الإنسان متمتعاً بذكاء كي يفهم هذه القوانين وبقدرة على إخضاع الأرض (تكوين ١: ٢٨).

ليس لدينا متسع لنذكر إلا بعضاً من عجائب الخلق. إن الموضوع يفوق التصوّر، ولكن كل ذلك وكل ما يمكن إضافته إليه لا يمكن مقارنته بعظمة الخلاص.

إن تسلّط الإنسان على الخليقة واستخدامه لها بشكل مدهش للغاية لخيره (وأيضاً للشر) إنما هو دليل على أن أسراره يمكن سبر أغوارها إلى حد كبير اعتماداً على ذكاء الإنسان. ولكن لا يستطيع الإنسان بذكائه أن يفهم أسرار الخلاص. يجب أن يكشفها له روح الله. مكتوبٌ: "مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ. فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ" (١ كورنثوس ٢: ٩، ١٠).

رغم عظمته، فإن الخلق متناهٍ. إذا يمكن قياسه بمعايير البشر. فالذهب يُشترى بالبني ويت (أجزاء من الأونسة)، والألماس يُشترى بالقيراط. والفحم والفولاذ يُقاس بآلاف أقدام الألواح المسطحة التي يمكن أن تنشر منها. ويُقاس الحليب بالكوارت (ربع غالون) والبنزين بالغالون. وأجور النقل والشحن، سواء كان براً أو بحراً أو جواً، تُقدّر بحسب الأميال المقطوعة. وتُقاس كمية الأمطار التي تهطل بالبوصة ويُقاس ارتفاع وانخفاض الحرارة بالدرجات. والسعة الحرورية للفحم تُقاس بوحدات حرارية بريطانية. وتُشرى الكهرباء بالكيلو واط الساعي والغاز بالقدم المكعّب. وتُقاس السرعة بأقدام أو أميال في الثانية أو الدقيقة أو الساعة. ويسفار الضوء بسرعة تبلغ ١٨٦٠٠٠ ميلاً في الثانية. وبعض النجوم يُقاس بالسنوات وبعضها يبعد بمقدار ألف سنة ضوئية. يبلغ البعد أحياناً ٥,٨٦٥,٦٩٦,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ميلاً. هذه الأرقام كبيرة جداً كمثل هذه المسافة، بل وتفوق خيال البشر، ولكنها مع ذلك تبقى ضمن حدود المتناهي بالنسبة للإنسان إذ يمكنه قياسها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هناك مدة حياة لكل الخلائق الحية سواء كانت نباتات، أم حيوانات، أم بشر. قد لاتتجاوز هذه المدة بضعة دقائق سريعة الزوال وقد تصل إلى ساعات، أو أيام، أو أسابيع، أو شهور، أو سنوات أو حتى آلاف السنوات كما في حالة الأشجار الجبارة في سلسلة جبال سييرا نيفادا[1]. ولكن لكل منها بداية وأيضاً نهاية محددة. حتى الأرض والسماء كان لها بداية: "في البدء خلق الله السماوات والأرض". ولكن الخلاص هو بحسب قصد الله الأبدي (أفسس ٣: ١١). لقد وعد الله به منذ قبل إنشاء العالم (تيطس ١: ٢) و"... أَعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (٢ تيموثاوس ١: ٩). ولذلك أيضاً فإن الخلاص سيستمر بعد فناء الخليقة الحالية: "... فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ كَالدُّخَانِ تَضْمَحِلُّ وَالأَرْضَ كَالثَّوْبِ تَبْلَى ... أَمَّا خَلاَصِي فَإِلَى الأَبَدِ يَكُونُ..." (أشعياء ٥١: ٦).

إن الخليقة محدودة ويمكن قياسها بمقاييس ابتكرها الإنسان ويمكن فهمها واستيعابها، ولو بشكل منقوص، بالذكاء المحدود للإنسان. ولكن لا يستطيع الإنسان أن يعيش أمور الخلاص بمقاييسه التي يعرفها. وفيما يتعلق بموضوع الخلاص، نجد الله في الحديث عنه يستخدم تعابير تدل بشكل واضح على اللانهاية أو اللامحدودية. إن الخلاص أبدي هو كما يرد في (عبرانيين ٥: ٩)، وكذلك الأمر الفداء (عبرانيين ٩: ١٢)، وأيضاً الحياة التي تُعطى لأولئك الذين يخلصون (يوحنا ٣: ١٦) والمجد العتيد (١ بطرس ٥: ١٠). إن هدف الله من الخلاص هو أن يجعل الإنسان على صورة ابنه اللامتناهي (رومية ٨: ٢٩). وإن مغفرة الخطايا هو "بحسب غنى نعمته" (أفسس ١: ٧). والمؤمنون مدعوون "لاِقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ." (٢ تسالونيكي ٢: ١٤)، وحتى لمجد ذاك الذي به خُلِقَ الكون (يوحنا ١: ٣ و كولوسي ١: ١٦). ورغم أن من يخلص هنا على الأرض يسكن في جسد فانٍ عرضة للفساد، إلا أن الوعد هو بجسدٍ خالدٍ غير قابل للفساد (١ كورنثوس ١٥: ٥١ – ٥٤) يأخذ شكلاً على مثل الجسد الممجّد لمخلصه (فيلبي ٣: ٢١). لا يمكن وصف الخلاص بأي طريقة أخرى سوى باستخدام هذه التعابير اللامتناهية التي تنطبق على الله نفسه.

فللإنسان في حالته الأصلية غير الخاطئة أعطى الله السلطان على الأرض وعلى كل ما فيها. وللبشر الساقطين الذين سيقتلونه كهدية مجانية، يعطي الله خلاصاً مطلقاً ويضعهم في موضع يفوق كل ما في الكون (أفسس ٢: ٦ و ١: ٢٠ – ٢٢). إن خلاصاً عظيماً هكذا مقداره يشكل تحدياً للإنسان يفوق كل قدراته الذهنية.

---

[1] – سلسلة جبال سييرا نيفادا (Siera Nivada Range): سلسلة جبال تقع في شرق كاليفورنيا، وتمتد من صحراء موجاف (Mojave Desert) إلى الجبال الساحلية. أعلى قمة جبلية فيها هي جبل ويتني (Mount Witney) التي يبلغ ارتفاعها ٤,٤١٧ متراً (١٤,٤٩١) قدماً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الرابع

خلاصٌ عظيمٌ للغاية بالنظر إلى الخطيّة

إن عجائب الخلاص وعظمته تتبدّيان أفضل ما يمكن لدى النظر إليه إزاء شفاعة الخطيئة. لقد نشأت الخطيئة في السماء. فلوسيفوروس، ابن الصباح، ملاك التسثّر، الذي جلس على جبل الله المقدس، كان واضحاً أنه أحد أعظم خلائق الله وأقربهم إليه. وهذا، رغم أنه كان مخلوقاً من مخلوقات الله، إلا أنه أبى أن يكون خاضعاً له. فتمرد على الله وقال: "أصير مثل العلي" (أشعياء ١٤: ١٢ – ١٤ و حزقيال ٢٨: ١٤).

والأدلة كثيرة على أنه، ونتيجة خطيئة لوسيفوروس، فإن الأرض، التي كانت نطاق عبثه، تعرضت لتغيّر عنيف ولذلك فإن ما يُسمى أيام الخلق كانت بالفعل أيام استعادة للأرض القديمة. لمزيد من التفصيل حول هذا الموضوع الشيّق انظر كتاب بيمبر "العصور الأولى للأرض"، الفصلين الثاني والثالث. في اليوم السادس (كما يرد في سفر التكوين ١: ٢٦، ٢٧) خلق الله الإنسان، وهو نوع من الكائنات جديد كلياً، لم يسبق له وجود من قبل. ذكراً وأنثى خلقهما وأعطاهم السيادة على الأرض المستعادة بدلاً من لوسيفوروس.

وكان الإنسان، المخلوق على صورة الله (تكوين ١: ٢٦)، كاملاً، ولكن لوسيفوروس بهيئة حية، جاء إلى مخلوق الله الجديد وأغواه بارتكاب الخطيئة.

كي نفهم شناعة الخطيئة من الضروري أن نرى ما هي طبيعتها – وما هو وراء كل المظاهر الخارجية للخطيئة.

لقد ذكرنا للتو أن الله خلق الإنسان. والخلق يعني التكوين من العدم. وبما أن الله خلق الإنسان من تراب الأرض (تكوين ٢: ٧)، فإن كل ما في الإنسان ليس إلا حفنة من التراب قد خُلِقت من لا شيء. وإضافة إلى ذلك، فإن الله في البدء خلق الأرض من لا شيء. لذلك فإن كل ما في الإنسان وكل ما لديه هو من الله. إنه يدين لله في كل شيء.

إن ذاك الذي استطاع أن يخلق الإنسان من العدم، يستطيع أيضاً ومن العدم، إن لزم الأمر، أن يخلق كل ما يحتاج إليه الإنسان. ولذلك فإن الله يستطيع أن يؤمّن للإنسان كل حاجاته. وبخلقه الإنسان أخذ الله على عاتقه مسؤولية الحفاظ على مخلوقه. وبإعداده الجنة له (تكوين ٢: ٨) أظهر أن هدفه هو الاعتناء بكل حاجات الإنسان. وبالتالي فالموقف الوحيد الصحيح الواجب على الإنسان اتخاذه، كونه مخلوقاً، تجاه الله، هو الاتكال والإذعان الكاملين له. ولكن المخلوق لم يحافظ طويلاً على موقف الاتكال الكامل على الله ومن هنا بدأت قصة خطيئة الإنسان الطويلة والمريعة.

إن قصة الخطيئة الأولى للإنسان، التي بها دخلت الخطيئة إلى الجنس البشري (رومية ٥: ١٢)، ترد في الآيات السبع الأولى من الإصحاح الثالث من سفر التكوين. فالحية أي الشيطان (رؤيا ١٢: ٩ و ٢٠: ٢)، قالت للمرأة: "أَحَقّا قَالَ اللهُ لا تَأْكُلا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟" وفي هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

السؤال اقتراح مبطّن ليشك في صلاح الله في تدبيره للإنسان. لقد أمر الله الإنسان ألا يأكل من ثمار شجرة معرفة الخير والشر (تكوين ٢: ١٧). ولمّح إبليس ضمناً إلى أن الله إنما يحجب بذلك أمراً حسناً عن الإنسان.

الغاية من هذا السؤال هو النيل من ثقة الإنسان الكاملة بالله الخالق واتكاله عليه. وهذا ما حدث فعلاً. فبدلاً من أن تثق المرأة بالله، بدأت تتفكر بالأمر الذي أصدره لهما. وأضافت كلمات من عندها أن: "لا تمساها". هذه الكلمات المضافة جعلت وصية الله تبدو غير معقولة أو منطقية. ويدل كلام المرأة ضمناً على أنها ما عادت تؤمن بكلمة الله. كانت تتصرف على أساس العقل بدل الإيمان. بحثت عن الإرشاد في داخلها. وهذا هو الحال دائماً عندما يفكر الإنسان عقلياً بصحة كلمة الله.

وما كان ينقص إلا تحريض آخر من قبل الحية. وشككت بقول الله بأن اليوم الذي يأكلون فيه من الثمار سيموتون ثم أضافت بأنهم بأكلهم من الثمر سوف يصبحان "كالله عارفَيْن الخير والشر". وما أمكن لهما مقاومة تلك الرغبة التي نشأت لديهما بأن يكونا مثل الله وفي غير حاجة للاتكال عليه. فتناولت المرأة الثمرة وأكلتها وأعطت زوجها فأكل أيضاً. بهذا العمل البسيط تمرد المخلوق على الله وترك حالة الاتكال عليه التي كان يعيش فيها. بهذا السلوك عبّر عن رغبة بأن يحافظ على وجوده بشكل مستقل عن خالقه. وهذا الشعور بأن المرء يمكنه أن يستغني عن الله، أو حتى غياب الشعور بالحاجة إلى الله، والعيش بدون أخذ الله بالاعتبار، هو خطيئة بحد ذاته. وهذا يصحّ سواء أكان الشخص يتمتع بالتهذيب والأخلاق الرفيعة أم كان ذا شخصية منحطة خسيسة. إن السلوك الجيد للفرد لا يحدده الدافع وراءه، بل المهم هو الموقف تجاه الله. فالخطيئة للخالق وأن يضعوا أنفسهم مكانه.

إن الاتكال على الله ورفض الاعتماد على الله وحده يعني رفض تكريمه وتمجيده كإله. ونتيجة لذلك، يفتخر الإنسان بنفسه وبأعماله. إن خير مثال عن روح تمجيد الذات نجدها عند نبوخذ نصر. فإذ كان يتمشى في قصره في أحد الأيام قال: "أَلَيْسَتْ هَذِهِ بَابِلَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي بَنَيْتُهَا لِبَيْتِ الْمُلْكِ بِقُوَّةِ اقْتِدَارِي وَلِجَلاَلِ مَجْدِي!" (دانيال ٤:٣٠). هكذا هي طبيعة الإنسان منذ أول خطيئة ارتُكِبت، ألا وهي التفاخر بإنجازاته والإخفاق بالإقرار بأن كل ما هو عليه وكل ما يستطيع أن يفعله هو من الله.

إن رفض البقاء في حالة اتكال كامل على الله هو رفض لأن تسيّر إرادته حياة المرء، بل الاتكال على إرادته الذاتية لتحل محلها. وهذا عبارة عن الاتكال على حكمة الإنسان الشخصية بدلاً من حكمة الله اللامتناهية.

فجوهر الخطيئة إذاً هو الانفصال عن الله والاتكال على الذات. وهذا يتبدّى في رفض تمجيد الله بل الاعتماد تمجيد الذات. فيسير الإنسان على هدى إرادته بدل الاسترشاد بإرادة الله.

المظهر الخارجي للخطيئة

بينما كانت الخطيئة الأولى عملية عصيان وسرقة، قام الإنسان بها بأخذ ما ليس له، إلا أن هذه هي الدلائل الخارجية على الموقف الجديد بالاستقلال عن الله. وهكذا أيضاً كل الأعمال التي تدعى خطايا ما هي إلا تعبير ودليل على الطبيعة الداخلية المنفصلة عن الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يوضح الرسول بولس بأن كل أنواع الخطيئة هي إخفاق من قبل الإنسان في الحفاظ على موقفه السليم نحو الله. ويوجه الاتهام ضد كل الجنس البشري الخاطئ فيقول: "لأَنَّهُمْ لَمَّا عَرَفُوا اللهَ لَمْ يُمَجِّدُوهُ أَوْ يَشْكُرُوهُ كَإِلهٍ بَلْ حَمِقُوا فِي أَفْكَارِهِمْ وَأَظْلَمَ قَلْبُهُمُ الْغَبِيُّ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ حُكَمَاءُ صَارُوا جُهَلاَءَ ... وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنىً وَشَرٍّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ مَشْحُونِينَ حَسَداً وَقَتْلاً وَخِصَاماً وَمَكْراً وَسُوءاً نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ مُبْغِضِينَ لِلَّهِ ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ مُبْتَدِعِينَ شُرُوراً غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ بِلاَ فَهْمٍ وَلاَ عَهْدٍ وَلاَ حُنُوٍّ وَلاَ رِضىً وَلاَ رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هَذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ لاَ يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ بَلْ أَيْضاً يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ!" (رومية ١: ٢١، ٢٢، ٢٨ – ٣٢). هذه هي الفئة من الخطايا المريعة التي إنما هي مظاهر خارجية تدل على إخفاق الإنسان في الثبات على موقفه الصحيح بالاتكال الكامل على الله، وتمجيد الخالق كربّ وإله، والبقاء خاضعاً لإرادته.

هناك تعريف للخطيئة يؤكد تماماً التفسير الآنف الذكر لطبيعة الخطيئة. وهو أن "كل ما ليس من الإيمان فهو خطيئة" (رومية ١٤: ٢٣). فالإيمان يعني الاتكال على الله. ولذلك فك لما ليس فيه اتكال على الله هو خطيئة. وبناءً على ذلك فحتى الأشياء التي تبدو حسنة قد تكون خطيئة. كثيرون يعتقدون أن اللاأخلاقيات فقط هي خطيئة. وهذا ليس صحيحاً. إن أقوى حصن للخطيئة ليس هو وكر الرذيلة. إنه يكمن في البر الذاتي. ففي وكر الرذيلة قد يكون هناك إحساس أعظم بالحاجة إلى الله والاتكال عليه. أما الأبرار بذاتهم فلا يشعرون بهكذا حاجة إلى الله. فهم مكتفون بذاتهم، ويعولون على ذاتهم ولذلك فهم بعيدون عن الله رغم أنهم قد يكونون مثقفين ومهذبين وأخلاقيين.

قال يسوع لرئيس الكهنة وشيوخ اليهود: "إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ" (متى ٢١: ٣١).

الإنسان خاطئ بالطبيعة

هناك جانب آخر في موضوع الخطيئة غالباً ما لا يكون مفهوماً. ألا وهو أن الإنسان خاطئ بالطبيعة. فبعد أن أخطأ آدم لم يعد نفس الكائن كما كان عند خلقه. وبارتكابه الخطيئة صار خاطئاً. كان آدم الإنسان الوحيد الذي صار خاطئاً لأنه ارتكب خطيئة. أما باقي البشر فقد وُلِدوا خطأة. عندما بلغ آدم المئة والثلاثين سنة أنجب ولداً "على شبهه كصورته" (تكوين ٥: ٣). وإذ كان آدم آنذاك خاطئاً فإن ابنه الذي وُلِد على شبهه كان أيضاً خاطئاً. والجميع، ما عدا يسوع، ومنذ ولادتهم صاروا خطاة بالولادة بحد ذاتها. كتب الملك داود يقول: "هَئَنَذَا بِالإِثْمِ صُوِّرْتُ وَبِالْخَطِيَّةِ حَبِلَتْ بِي أُمِّي" (مزمور ٥١: ٥). وهذا صحيح بالنسبة لكل كائن من الجنس البشري منذ آدم وحتى يومنا الحاضر.

وبسبب هذه الطبيعة الخاطئة لا يستطيع الإنسان أن يتجنب الخطيئة. ولذلك فإن "... الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٣).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الخطيئة هي ضد الله

بعد هذا النقاش حول الخطيئة لا بد من أن نلفت الانتباه إلى حقيقة أن الخطيئة أساساً هي ضد الله. بعد أن خطئ الملك داود على نحو فاحش ضد أحد أتباعه اعترف بخطيئته أمام الله فقال: "إِلَيْكَ وَحْدَكَ أَخْطَأْتُ وَالشَّرَّ قُدَّامَ عَيْنَيْكَ صَنَعْتُ" (مزمور ٥١: ٤). واليوم هناك تركيز شديد على علاقات الإنسان الاجتماعية، وتجاهل لموقف الإنسان تجاه الله. ولذلك فمن غاية الأهمية أن نتذكر أن الخطيئة، التي هي في جوهرها انفصال عن الله، هي ضد الله. فليدرك الإنسان ذلك ويعود إلى موقفه الصحيح تجاه الله ثم تأتي علاقته الاجتماعية صحيحة كتحصيل حاصل.

أعاجيب الخلاص

عندما يُنظر إلى الخطيئة على أنها تمرد ضد الخالق إذ تعبّر عن رغبة في الاستقلال عن الله والصيرورة مثل الله مستقلين عن أي أحد آخر، وتمجيد الذات بدلاً من تمجيد الله، وتجاهل إرادة الله، فعندئذ تصبح شفاعة الخطيئة واضحة جلية. وبسبب كون مشكلة الخطيئة هكذا فإن الخلاص يتوجه بالقول: "صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ..." (تيموثاوس ١: ١٥). وحدها محبة الله اللامتناهية يمكن أن تتصور وتفهم فكرة ضمان الخلاص، مقابل الثمن اللامتناهي الذي كلّف حياة ابنه ذاته، وذلك لأجل مثل هكذا مخلوق متمرد ألا وهو الإنسان.

ولكن عجب الخلاص يصبح أكبر بكثير عندما نتذكر أنه لا يقتصر على استعادة من كان ضالاً بالخطيئة وحسب. فعلى الأقل إن هؤلاء المخلصين خلال العصر الحالي، كما قلنا، يتحولون إلى صورة ابن الله (رومية ٨: ٢٩). فيصبحون مقدسين وبلا لوم أمام الله (أفسس ١: ٤) إلى الأبد. يصيرون واحداً مع الله الآب والله الابن تماماً كما أنهما هما واحدٌ (يوحنا ١٧: ٢١). فعندئذ يصبحون "مثل الله". سيحصل الإنسان على ما عرضته الحية عليه، والذي بتمرده حاول أن يحققه بنفسه. وستكون مكانتهم أمام الله هي تلك التي كان لوسيفوروس يحتلها قبل أن تدخل الخطيئة إلى قلبه. إلا أنهم سيكونون من رتبة أعلى منه بما لا قياس له.

إن الخلاص الذي يغفر للإنسان تمرده ويمنحه ما كان يحاول أن ينجزه بنفسه جديرٌ حقاً بأن يُقال عنه "خلاص هذا مقداره".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الخامس

التحرر من سلطان الظلمة

حين تمرّد لوسيفوروس على الله وقال أنه سيرتفع إلى ما فوق نجوم الله وأن يصبح مثل العلي، فإن الله بحكمته (التي يصعب على الإنسان أن يفهمها) سمح له بأن يؤسس مملكة خاصة به أصبح فيها الحاكم الأسمى. ولربما أمكننا أن نسميها الحكومة المناوئة لله.

بخلقه الإنسان، أضاف الله مخلوقاً جديداً إلى مملكته. كان الإنسان مرؤوساً تابعاً لحكومة الله. لقد أعطى الله الإنسان سلطة ليسود على الأرض المستعادة ويخضعها لنفسه. كان الله هنا تابعاً لله وحده. وكانت الأرض تُعتَبر بمثابة إقليماً من التابعية الأكبر الخاضعة لله، ألا وهي الكون.

ولكن لم يبقَ الإنسان على هذه الحال من الولاء لله طويلاً. فقد تمرد هو أيضاً. وكما رأينا، فقد أغواه الشيطان ليعصى أمر الله. وبذلك العمل أعلن الإنسان استقلاله عن الله واتكاله على ذاته. لقد كان هذا تمرداً ضد حكومة الله. وبإصغائه إلى الشيطان سلَّم الإنسان نفسه لتأثيره وصار تحت سلطانه وحكمه. وحوّل ولاءه من الله إلى إبليس. وبهذا أيضاً سلّم الإنسان للشيطان التي كان يسود عليها. ومن ذلك الوقت وصاعداً صار الإنسان جزءاً من الحكومة المناوئة لله.

ليست سيادة إبليس على ممالك هذا العالم موضوع تساؤل. عندما جُرِّب يسوع في البرية، عرض عليه الشيطان كل هذه الممالك ومجدها إذا ما جثا أمامه وعبده (متى ٤: ٨، ٩). لم يخالفه يسوع ادعاءه بامتلاك ممالك العالم. فقد صارت في قبضته عندما أذعن الإنسان له. ولذلك كتب يوحنا الرسول يقول: "... وَالْعَالَمَ كُلَّهُ قَدْ وُضِعَ فِي الشِّرِّيرِ" (١ يوحنا ٥: ١٩).

يتميّز عالم الشيطان بادئ ذي بدء بالكذب. وعنه يقول يسوع أنه "أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ" (يوحنا ٨: ٤٤). فبكذبة منه استطاع أن يحظى بولاء الإنسان له.

ويُشار إلى عالمه مراراً وتكراراً بأنه ظلمة. (يوحنا ١: ٥، أعمال ٢٦: ١٨، ٢ كورنثوس ٤: ٦، أفسس ٦: ١٢، وغيرها). وأعمال الإنسان، الذي هو تابع لعالم إبليس، تُدعى أعمال الظلمة (أفسس ٥: ١١).

ولأن البشر خاضعين لسطوة الشيطان فإنهم يُدعَون أولاد المعصية وأولاد الغضب (أفسس ٢: ٢، ٣). إنهم هكذا لأنهم أولاد الإنسان الأول، آدم، الذي أصاغ إلى الشيطان في جنة عدن وعصي الله. وهذه التعاريف تنطبق على كل من هم في عالم الشيطان وتحت سلطانه. وهذه التعاريف لا تشير بشكل خاص إلى مجموعة محددة من الناس الأشرار ضمن مصطلحات البشر عن الشر. فقد قال يسوع عن الفريسيين الذين كان الناس يجلّونهم ويحترمونهم أكثر من أي أناس آخرين: "أنتم من أب هو إبليس" (يوحنا ٨: ٤٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وبعكس المفهوم السائد، فإن الشيطان يوصف بأنه كائن بارع جداً وجميل الشكل. وقد كُتِبَ عنه: "أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ, مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ. كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللَّهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ, ... أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا يَوْمَ خُلِقْتَ" (حزقيال ٢٨: ١٢، ١٣). وحتى في وضعه الساقط، فإن باستطاعته أن يحول نفسه إلى هيئة ملاك من نور (٢ كورنثوس ١١: ١٤). ولذلك فمن غير المستغرب أن يكون أتباعه عل مثل تلك البراعة والتهذيب والكمال الظاهري في نظر الناس.

إن حالة البشر أتباع عالم الشيطان توصف بأشكال شتى. وقد قيل عنهم أن "... إِلهُ هَذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى الأَذْهَانَ ... لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ" (٢ كورنثوس ٤: ٤). إنهم يعيشون "حَسَبَ رَئِيسِ سُلْطَانِ الْهَوَاءِ، الرُّوحِ الَّذِي يَعْمَلُ الآنَ فِي أَبْنَاءِ الْمَعْصِيَةِ" (أفسس ٢: ٢). ويُعود بالظلمة (أفسس ٥: ٨), وهذه ليست تعابير يطلقها إنسانٌ، بل هي وصف الله للبشر الخاضعين لسلطان الشيطان وسطوته.

ومن هنا يتضح أن عصيان الإنسان في جنة عدن كان أكثر من مجرد تحول عن الله واتكال على الذات. لقد كان تحولاً في الاتجاه محدداً نحو الشيطان وقبول لسيادته عليه وعلى ذريته من بعده. وصار النسل البشري كله مشتركاً بذلك وتابعاً لعالم ظلمة إبليس.

بسبب حالة الإنسان هذه، صار من الضروري بالنسبة لله أن يتخذ تدبيراً ليخلص الإنسان من سطوة الشيطان وليعيده إليه. فذاك الذي حدث عندما أخطأ الإنسان في الفردوس كان لا بد من عكسه.

وجدير بالاهتمام والملاحظة أن أول تصريح في الكتاب المقدس يحوي فكرة خلاص الإنسان كان وعداً بمجيء ذاك الذي سيحطم سلطان الشيطان. وهذا الوعد نجده في حكم الإدانة الذي أعلنه الله للحية ما إن جعلت الإنسان يخطئ. ويتجلى في هذه الكلمات "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ" (تكوين ٣: ١٥). الرأس هو مركز الذكاء والسلطةن والقدرة على السيادة والحكم. وعندما يُسحق رأس الشيطان فإن قوته تتحطم ومن هنا يأتي التحرر من سلطان الظلام. وإن نسل المرأة هو ذاك المولود من عذراء. أما الآخرون جميعاً (أولئك الذين وُلِدوا) فهم من نسل الإنسان: "هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»" (أشعياء ٧: ١٤). عندما ولد يسوع من العذراء مريم تحقق الوعد بمخلص يعتق الناس من سلطان الشيطان. لقد جاء "لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ" (لوقا ١: ٧٩). وهذا إنما يشير إلى الجنس البشري السالك في ظلمة عالم إبليس.

عندما بدأ يسوع خدمته العلنية، في أحد أيام السبت، دخل إلى الهيكل. ودُفِعَ إليه سفر أشعياء النبي فقرأ منه أن "رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ (من الشيطان) وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ" (لوقا ٤: ١٨).

إن يسوع، نسل المرأة، قد سحق فعلاً رأس الحية ولكن عندما فعل ذلكن وكما جاء في النبوات أيضاً، فإن الأفعى سحقت عقبه (تكوين ٣: ١٥). وهذا يشير إلى موت يسوع على الصليب. فقد مات "لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ" (عبرانيين ٢: ١٤).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي خطبته العلنية الأخيرة قبل موته قال يسوع: "اَلآنَ دَيْنُونَةُ هَذَا الْعَالَمِ. اَلآنَ يُطْرَحُ رَئِيسُ هَذَا الْعَالَمِ (الشيطان) خَارِجاً" (يوحنا ١٢:٣١). "لأَجْلِ هَذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ (نسل المرأة) لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ" (١ يوحنا ٣: ٨).

وعندما أُوقِفَ شاول (الذي دعي بولس لاحقاً) على طريق دمشق سمع صوتاً يقول: "أَنَا يَسُوعُ ... ظَهَرْتُ لَكَ لأَنْتَخِبَكَ خَادِماً وَشَاهِداً ... لِتَفْتَحَ عُيُونَهُمْ (الأمميين) كَيْ يَرْجِعُوا مِنْ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى اللهِ ..." (أعمال ٢٦: ١٥ – ١٨).

فبالخلاص إذاً يحررنا الله من سلطان الظلام وينقلنا إلى مملكة ابنه (كولوسي ١: ١٣). ولذلك فإن كل من يخلصون يصبحون "رعية مع القديسين" (أفسس ٢: ١٩). وبالتالي "محادثاتهم معهم (أي المواطنية) تكون في السماء" (فيلبي ٣: ٢٠). فما عادوا من العالم الحاضر أو الكون الذي يحكمه الشيطان. وما عادوا من الظلمة، بل أبناء النور (١ تسالونيكي ٥: ٥).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل السادس

لـــنا فيـــه الفـــداء

عندما أثِمَ الإنسان في الفردوس فإنه، ليس فقط سلّم نفسه للشيطان وصار تحت سطوته، بل إنه أيضاً عصي شريعة الله التي جاء في وصيته لهما ألا يأكلا من ثمر شجرة معرفة الخير والشر. وجزاء مخالفة ذلك القانون كان الموت. "يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين ٢: ١٧). وتلك هي دائماً عقوبة الخروج على ناموس الله. "النفس التي تخطئ تموت" (حزقيال ١٨: ٢٠).

إن الموت الذي دخل العالم بفعل خطيئة آدم قد جاز إلى كل البشر فأصبحوا جميعاً تحت عقوبة تعدي الشريعة (انظر رومية ٥: ١٢). إنهم تحت لعنة الناموس.

في حين يرفض البعض تعليم الكتاب المقدس بأن الجميع هم تحت اللعنة بسبب معصية آدم، نجد أنه ليس ثمة داعٍ للبحث كثيراً عن دليل على ذلك. فكل جنازة هي دليل على تلك الحقيقة. فبالخطيئة صار آدم عرضة للفناء (أي عرضة للموت الجسدي). وعندما أنجب آدم ولداً "على شبهه" فإنه وُلِدَ عرضة للموت. فليس للإنسان الفاني أن ينجب ذريّة خالدة. ولذلك فإن كل البشر فانون وبالتالي فهم تحت اللعنة، وذلك كله بسبب خطيئة آدم.

ولكن ليس هذا كل ما في الأمر. فعندما أخطأ آدم مات روحياً. وانفصلت روحه عن الله. وخسر اتصاله الروحي بالله. ومن كان ميتاً روحياً لا يمكنه أن ينجب أولاداً أحياء روحياً. ولذلك فإن ذريّة آدم "أموات بالذنوب والخطايا" (أفسس ٢: ١). وهذا أيضاً، جزء من لعنة الناموس التي صار الإنسان تحتها من جراء خطيئة آدم. وليس من الصواب القول أن هناك "شرارة إلهية" في كل إنسان. فكما جاء في الكتاب المقدس، إن الجميع أموات في التعديات والخطايا.

علاوة على ذلك، وبسبب الطبيعة الخاطئة التي ورثوها عن آدم، فإن الجميع "أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣: ٢٣). ومن هنا فإن كل الجنس البشري مُدانٌ أمام الله وتحت دينونة تعدية للشريعة (رومية ٣: ١٩).

فبالخلاص إذاً، وإضافة إلى الانعتاق من سلطان وسطوة إبليس، كان على الله أن يجري تدبيراً لتحرير الإنسان من الموت، أي لعنة الناموس. وبما أن الموت جاء بالخطيئة، فقد وجب بالضرورة أن يُعْتَق الإنسان أو يُحرَّر من الموت. وبالتالي ينبغي معالجة كلا المسألتين: العقاب وسببه. تدبير الله هذا يُدعى الفداء.

بحسب قاموس ويبستر، إن كلمة يفتدي (redeem) تعني "يعتق، أو يحرر، أو يخلص من الأسر أو العبودية أو من أية مديونية أو مسؤولية قانونية يفرض عليه أن يتحملها، أو أن يدفع غرامة، وذلك بدفع ثمن أو فدية". فالفداء هو في جزأين: الأول أن يعتق أو يحرر من الأسر أو العبودية، والثاني أن يُعتَق من المسؤولية المترتبة والتغريم بدفع ثمن أو فدية. هذان الجانبان كلاهما في عملية الفداء نجدهما في عمل الله الخلاصي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن الإنسان هو في عبودية الخطيئة وتحت حكم عقوبة الموت الناجم عن تعدي الناموس. وعليه أن يدفع حياته غرامة ليحقق مطالب العدالة. والسبيل الوحيد للنجاة من الدينونة هو في الفداء.

ولما كانت عقوبة التعدي هو الموت، فمن المستحيل على الإنسان إذاً أن يفتدي نفسه. فحياته أثمن من أي فدية يمكن أن يدفعها. لو كان الحكم هو في السجن لأجل معين من السنوات، لكان يمكن تفادي ذلك بالقيام بعدد محدد من الأعمال الصالحة أو بالكفارة، ولكن كل الأعمال الحسنة في حياة المرء لا يمكن أن توازي ثمن فداء، لاسيما وأن الثمن المطلوب هو الموت، أو التنازل عن الحياة نفسها. وبالتالي فمن المؤكد أنه لا مجال للإنسان أبداً أن يفتدي نفسه من لعنة الناموس. ربما أن كل البشر هم تحت نفس الحكم فما من معونة إنسانية يمكن أن تفيد بشيء أو حتى أن توجد.

وماذا بعد، يستحيل على الله، الذي هو القاضي، أن يتساهل وأن يتغاضى عن الحكم. إنه مطلق لا متناه في كل كينونة وفي كل أفعاله. ولذلك فإن برّه أيضاً مطلق لا متناه. لا يمكنه أن يقبل بالتسوية في أحكامه وفي تنفيذها. لا يمكنه أن يتسامح في عقوبة تعدي ناموسه المقدس ذاته. فلا بد من أن يكون العقاب صارماً.

وإذ أن الإنسان ليس له حيلة ليفتدي نفسه، ولأن عدالة الله المطلقة تمنع تجاهل العقاب، فلا بد إذاً من وجود فادٍ لكي يخلّص الإنسان. لا بد من وجود من يستطيع أن يدفع الغرامة أو يفتدي الإنسان بما هو معادلٌ للجزاء الذي تتطلبه الشريعة. فالفداء إذاً جزء أساسي من الخلاص. ولا يمكن أن يكون هناك خلاص بدون فداء.

وكان لا بد إذاً، ضمن هذه الشروط والأحوال، من أن يكون الله وحده هو القادر على إيجاد فادٍ. وهذا ما فعله من خلال شخص ابنه الوحيد اللا متناهي. ولأجل هذا الهدف فإنه أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليصير إنساناً (ليتأنس). "وَلَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ مَوْلُوداً مِنِ امْرَأَةٍ، مَوْلُوداً تَحْتَ النَّامُوسِ، لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (غلاطية ٤: ٤، ٥).

وبمجيئه إلى العالم وموته فإن "الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا ... لِنَنَالَ بِالإِيمَانِ مَوْعِدَ الرُّوحِ" (غلاطية ٣:١٣-١٤). نعم ابن الله الذي لا يحدّه مكان أو زمان عيّنه الله ليصير فادياً للعالم.

وثمن الفداء الذي دفعه كغرامة عن الجنس البشري كان يجب أن يكون أعظم، ليس من حياة امرئ واحد وحسب، بل أعظم من حيوات كل أفراد الجنس البشري، لأنهم كانوا جميعاً تحت حكم الموت. وهكذا كان الأمر، إذ أن ثمن الفدية الذي دفعه كان حياته ذاتها. وقال عن نفسه: "... ابْنَ الإِنْسَانِ أَتَى .... لِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (مَتَّى ٢٠:٢٨). لقد " ... بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لأَجْلِ الْجَمِيعِ" (١تيموثاوس ٢:٦).

وكانت هذه الفدية كافية واستوفت ثلاثة شروط: (١) أنها كانت حياة بشرية. إذ استوجب تعدّي الناموس أن يموت الإنسان. ولذلك كان على ابن الله أن يتّخذ جسداً بشرياً. (٢) كانت حياته خلوّاً من الخطيئة. ولقد أمكنه أن يقول لليهود: "من منكم يبكّتني على خطيئة؟" (يوحنا ٨: ٤٦). لم يتوجب عليه الموت بسبب خطيئة ارتكبها. ولذلك أمكنه أن يموت فداءً عن الآخرين. (٣) لكونه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ابن الله فقد كان مطلقاً لا محدوداً. وكانت حياته أعظم من كل المجموع الإجمالي لحياة البشر الفانية المحدودة. ولذلك أمكن أن تكون حياته فدية لأجل الجميع – كل البشر. كان ثمن الفداء أكبر من المجموع الإجمالي لخطيئة كل البشر.

لا بد من الانتباه إلى أن يسوع قال أنه قد جاء ليبذل حياته فدية. فلم يمت، كما يُقال في بعض الأحيان، شهيداً دفاعاً عن قضية ما. لقد بذل حياته. قال: "إِنِّي أَضَعُ نَفْسِي لِآخُذَهَا أَيْضاً. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْخُذُهَا مِنِّي بَلْ أَضَعُهَا أَنَا مِنْ ذَاتِي..." (يوحنا ١٠:١٧، ١٨). لقد كان موت يسوع المسيح طوعياً باذلاً حياته فدية ليفتدي الجنس البشري من عقوبة الموت التي استوجبها الناموس.

في مقاطع كتابية عديدة نجد القول بأن دم المسيح كان ثمن الفداء. ولذلك نجد في (١ بطرس ١: ١٨، ١٩) القول: " ... افْتُدِيتُمْ لاَ بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ، مِنْ سِيرَتِكُمُ الْبَاطِلَةِ الَّتِي تَقَلَّدْتُمُوهَا مِنَ الآبَاءِ، بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ، كَمَا مِنْ حَمَلٍ بِلاَ عَيْبٍ وَلاَ دَنَسٍ، *دَمِ الْمَسِيحِ*." وهذا التعليم حول حقيقة أن الفداء كان بسفك دم يسوع المسيح نجده في (أفسس ١: ٧)، و (كولوسي ١: ١٤، ٢٠)، و (رؤيا ٥: ٩).

ليس هناك تناقض بين القولين في أن الفداء هو بدم يسوع المسيح وأن ثمن الفداء كان حياته. كلا القولين يعنيان نفس الأمر لأن الحياة هي في الدم (لاويين ١٧: ١١) وعندما يُهرق الدم تُعطى الحياة. وهذا هو سبب وجوب التأكيد على الدم المسفوك كما فعل يسوع نفسه. فعند تأسيسه لعشاء الرب أخذ كأساً من الخمر وقال "... هذا دمي. . . الذي يُسفَكُ من أجل كثيرين لمغفرةِ الخطايا" (مَتَّى ٢٦:٢٨). ومن هنا القول وبالتحديد أن البشر تحرروا من لعنة الناموس ليس بفضل الحياة التي عاشها. بل إن افتداء الإنسان كان ببذله لحياته، وبسفكه لدمه وبالتالي بموته.

إن معنى كل ذلك هو أن الإنسان مذنب أثيم بحسب الناموس وتحت حكم الموت. وليس للإنسان ما يستطيع أن يفتدي به نفسه وينجو من تنفيذ الحكم. لقد جاء ابن الله إلى الأرض وتأنس. وعاش حياة بارّة بشكل كامل من جهة ناموس الله وكان في مقدوره أن يعود إلى السماء وأن يأتي إلى حضرة الله بفضل برّه الذاتي. ولكنه بدلاً من ذلك، وهو الذي كان بلا عيب أو خطيئة، مات عن الجنس البشري. فقد دفع عقوبة الموت عن الإنسان.

يعلّم البعض بأن دم يسوع عندما كان يسيل في عروقه كان له نفس القيمة عندما سُفِك على الصليب. ويعلّمون أيضاً أن الخلاص كان بالحياة التي عاشها بين البشر، متجولاً بينهم معلماً وصانعاً الخير والصلاح. وهذا نكران مباشر للكتاب المقدس الذي يعلّم أن الإنسان قد افتدي بدم المسيح الذي ما كان ليمكن أن يكون ثمن فداء أو فدية وهو يسيل في عروقه. إن عدم رغبة الإنسان في الاعتراف بأنه خاطئ هو السبب الكامن وراء هذا التعبير. فأن تُبطل الإيمان بثمن الفداء يعني أن تنكر الحاجة إليه. وأن تنكر الحاجة إليه يعني أن تنكر الخطيئة وتبعاتها.

إن حياته الأرضية كما عاشها يسوع لا تفتدي ولا يمكنها أن تفتدي ولو حياة إنسان واحد من العقاب الذي يفرضه الناموس. يصحّ القول أنه كان "مولوداً تحت الناموس" (غلاطية ٤: ٤). وهذا يعني أن يسوع عاش على الأرض خاضعاً لناموس الله، بما في ذلك الوصايا العشر، تماماً كمثل أي إسرائيلي في عصره وقبله. ولذلك، بحياته الكاملة خَلُصَ هو نفسه من عقوبة الناموس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وأمكنه أن يكون متواصلاً مع الله، ولكن ما من أحد آخر كان يعيش على الأرض وله هكذا اتصال مع الله.

ومهما يكن من أمر، فإن هناك فضلاً لحياته الأرضية المثالية على الجنس البشري. والأمر على النحو التالي: لكونه كاملاً لم يكن، كما ذكرنا تواً، في حاجة لأن يموت عن خطيئة ارتكبها بنفسه. ولذلك أمكنه أن يموت عن الآخرين الذين كانوا خطاة وبقيامه بذلك أعطى حياته فدية عنهم.

فموت المسيح إذاً هو محور الخلاص. إلا أن هناك من يقبل هذا الرأي ولا يزال ينكر الحاجة إلى موت المسيح كثمن للفداء. يقولون أن موت يسوع هو المثال الأعلى للتضحية في نظر البشر ليتبعوه. وبرؤيتهم لذلك، وبالعيش حياة قربانية، يخلص البشر. ولكن لا يمكن أن يكون الحال هكذا، فلا نجد في أي مكان من الكتاب المقدس بأن هناك أي تأثير أخلاقي يتأتّى عن الصليب يمكن أن يجعل غير المخلّصين صالحين أو في حال أفضل، وبذلك يصيرون مقبولين في عيني الله.

مفتدون من البقاء تحت الناموس

عندما يفتدي الله الإنسان من العقاب، أو اللعنة، المترتبة عن الناموس، فإنه يفتديه من أن يكون تحت الناموس. كما سبق وذكرنا "أَرْسَلَ اللهُ ابْنَهُ ... لِيَفْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ" (غلاطية ٤:٤، ٥). ولا نجد في أي مكان ما يدل على أن مخالفة الناموس تمرّ دون عقاب. فلا يكون الناموس ناموساً بدون قصاص. من اللحظة التي ينال الشخص الفداء لا يعود الله يتعامل معه على أساس الناموس، بل على أساس مختلف كليّاً ألا وهو بحسب النعمة. "... لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ " (رومية ٦:١٤). فليس للناموس دخل بعد. إذ ما عاد ليعلن أن الشخص المُفتدى مذنباً أو مداناً. "إِذاً لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ " (رومية ٨:١). فالفداء إذاً ينتج موقفاً مختلفاً بالكلية من جهة الله نحو أولئك المُفتدين.

الفداء هو خلاص من الخطيئة ومن سلطان الخطيئة

عندما يتعامل الله مع الإنسان على أساس النعمة فإنه يُكمل عمل الفداء حتى إلى حدّ الانعتاق من الخطيئة التي كانت السبب الذي جعل الناموس يفرض العقاب. إن هدف الله من افتداء الإنسان ليس فقط أن يحرره من عقاب الخطيئة بل أيضاً من الخطيئة في حياته: "يَسُوعَ الْمَسِيحِ .... بَذَلَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِيَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُطَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْباً خَاصّاً غَيُوراً فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ" (تيطس ٢:١٣، ١٤).

قال الرسول بولس أنه كان "مبيعاً تحت الخطية" وأنه كان هناك "ناموس الخطية" في جسده (رومية ٧: ١٤، ٢٣). وقال يسوع لليهود: "إِنَّ كُلَّ مَنْ يَعْمَلُ الْخَطِيَّةَ هُوَ عَبْدٌ لِلْخَطِيَّةِ" (يوحنا ٨:٣٤). إن الإنسان هو في العبودية تحت الخطيئة بلا شك. والخطيئة تسود في حياته، ولكن من هذه أيضاً كان الانعتاق. هذا الانعتاق هو بقوة الله ولأنه يسلك بالنعمة لصالح كل من تحرّر من عقوبة الخطية. "فَإِنَّ الْخَطِيَّةَ لَنْ تَسُودَكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَحْتَ النَّامُوسِ بَلْ تَحْتَ النِّعْمَةِ" (رومية

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٤:٦). والأمر كذلك لأن ناموس روح الحياة في المسيح يسوع يحرر من ناموس الخطية والموت الذي ورثه الإنسان عن آدم (رومية ٨: ٢).

فـداء الجسد

يتحدث الرسول بولس عن فداء في المستقبل ينتظره المؤمنون الآن. "... نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا" (رومية ٨:٢٣).

في موت المسيح كان هناك فداء من عقوبة تعدي الناموس وكان الموت الجسدي جزءً من تلك العقوبة. لقد صار جسد الإنسان فانياً وعرضة للموت والفساد. وبما أنه صار عرضة للموت فقد صار عرضة للمرض والاعتلال. إن الإنسان مبتلٍ بكل أنواع الأمراض. وهذه لها شفاء بموت المسيح، ولكن من المؤكد جداً أن الإنسان لم يدخل بعد إلى الفرح الناجم عن ذلك. يقول بولس "... نَحْنُ أَنْفُسُنَا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ ..... فِدَاءَ أَجْسَادِنَا." وذلك اليوم لا يزال في المستقبل. سوف يأتي، عندما يدوي صوت البوق من عند الله، والموتى يقومون بلا فساد والمؤمنون الأحياء يطرأ عليهم تحوّل. وعندها سيرتدي الفاسد عدم البلى وهذا الهالك الفاني سيحظى بالخلود (١ كورنثوس ١٥: ٥١ – ٥٤). وقبل ذلك لن يكون عمل الفداء قد اكتمل. وعندها سيكون هناك تجديد واستعادة للوضع الحقيقي للإنسان. وستزول آثار خطيئة آدم كلياً.

الفداء بفضل الله

إن الفداء هو ليس فقط من عقوبة خروج الإنسان على الناموس، بل إنه أيضاً سيعيد الإنسان إلى الله. وسينشد المخلَّصون في السماء تسبيح حمدٍ للحمل قائلين: "... إِنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا لِلَّهِ بِدَمِكَ ..." (الرؤيا ٥:٩).

أولئك الذين يخلصون جميعاً ليسوا ملك أنفسهم، بل يخصّون المسيح بحق افتدائه لهم. "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ ... أَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١ كورنثوس ٦:١٩، ٢٠).

فهدف الفداء إذاً هو أن يُصبح لله "شعب خاص" (تيطس ٢: ١٤).

الفداء أبدي

نصل إلى الفكرة الختامية التالية عن الفداء: بما أن المسيح أزلي ودمه، ثمن الفداء، لا فساد فيه، فإن الفداء يجب أن يكون أبدياً وهذا ما يقوله الله في وصفه له (العبرانيين ٩: ١٢). ولذلك فإن ما يعمله الله من أجل المؤمن بداعي الفداء يجب أن يستمر إلى الأبد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل السابع

عدالة الله استوفت حقها

رأينا في الفصل السابق قيمة موت المسيح كثمن فداء لإعتاق الإنسان من عقوبة الناموس. إن موت المسيح كان عن الإنسان. في هذا الفصل سنتناول قيمة إضافية أخرى: ألا وهي فضل الله نفسه في موت المسيح الذي يجب أن نأخذه بعين الاعتبار. إن الإخفاق في إدراك فضل الله في موت المسيح هو سبب الكثير من سوء الفهم والتعاليم الضالة.

إن الخلاص هو عمل الله من أجل الإنسان. ولكن لكي يستطيع القيام بهذا العمل كان عليه أيضاً أن يفعل شيئاً لأجل نفسه. لقد كان الله وبدافع محبته يتوق لإنقاذ البشر من تبعات خطيئة آدم. فما أن أخطأ آدم حتى جاء إليه الله في هدوء المساء وناداه قائلاً: "أين أنت؟" لقد كان قلب الله توّاقاً ليخلّص الإنسان الساقط. وقليلون يدركون هذه الحقيقة الهامة.

ولكن ذاك الذي هو محبة هو أيضاً بارٌ بشكل لا متناهٍ. إنه أيضاً غير متحول أو متبدّل. لقد كانت عدالة الله وبرّه الثابتين وغير المحدودين تتطلّبان فرض عقوبة على المخلوق، الذي هو الإنسان، لانتهاكه له وأن تُنفّذ هذه العقوبة. لذلك فإن عدالة الله اللامتناهية قد حدّت من محبته. إن كان الله سيخلّص الإنسان فعليه أن يفعل شيئاً تجاه نفسه مراعاة لذاته لكي يستطيع أن يزيل تبعات الخطيئة دون اللجوء إلى تسوية في العدالة.

وأوجدت محبة الله طريقة إزاء محدودية العدالة. "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يوحنا ٤:١٠). "وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يوحنا ٢:٢).

لفهم معنى هذه الآيات لابد من فهم معنى كلمة "الكفّارة الاسترضائية". إنها تلك "التي..... تسترضي (أو ترضي) العدالة الإلهية وتصالح (تكسب) إلى الله".

معنى الآيات الآنفة الذكر، إذاً، هو المحبة التي تبدّت في إرسال الله لابنه لإرضاء عدالته ذاتها ولتجعل من الممكن له أن يصالح الإنسان. هذا التعبير عن المحبة هو ليس فقط لأولئك الذين يخلصون بل أيضاً لجميع البشر.

حسنٌ أن نذكّر هنا بما استوجب مطلب عدالة الله وكيف أن يسوع المسيح قد لبى هذا المطلب. عدالة الله استوجبت الموت بسبب انتهاك ناموسه. "يوم تأكل منها موتاً تموت" (تكوين ٢: ١٧). محبة الله ما كانت لتلغي القصاص. وما كانت لتتجاهله. ناموس الله المقدس والعادل يجب أن يكون موضع تقدير واعتبار. وإن حنقه على فحش الإنسان يجب أن يأخذ مجراه.

عندما أُرسِل ابن الله جاء إلى العالم كإنسان. وعاش هنا لثلاثٍ وثلاثين سنة كإنسان وفي كل لحظة من حياته كان يُرضي مطلب عدالة الله. ثم ذهب طواعية إلى الصليب. وسُمِّر، وهو خالق الإنسان، على الصليب على يد الأشرار. وهناك وصلت الخطيئة، بتمرّد الإنسان على الله، إلى أوجها. وعندما عُلّق على الصليب، ألقى الله عليه كل خطايا الجنس البشري. "الرب وضع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

عليه إثم جميعنا" (أشعياء ٥٣: ٦). واشتمل ذلك على الخطيئة الأولى التي ارتكبها آدم. واشتمل أيضاً على كل خطيئة لكل شخص من نسل آدم وُلِد حتى ذلك الوقت بل وحتى على خطايا كل البشر الذين سيولدون من بعد. لقد وُضعت عليه خطايا الجميع. ثم وقعت عليه دينونة الله للخطيئة. "و .... صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِيلِي إِيلِي لَمَا شَبَقْتَنِي» (أَيْ: إِلهِي إِلهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟)" و"... صَرَخَ أَيْضاً بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَأَسْلَمَ الرُّوحَ" (مَتَّى ٢٧:٤٦، ٥٠). وهنا كان الموت بسبب خطايا البشرية. كان موتاً بطبيعتين: موت روحي نجم عن كونه متروكاً من الله ومنفصلاً عنه، وموت جسدي في إسلامه الروح. وهذا الموت المضاعف الوجه هو بالضبط اللعنة التي لحقت الإنسان بسبب الخطيئة. "وَهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا. تَأْدِيبُ سَلاَمِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا" (أشعياء ٥٣:٥).

وهكذا تحققت مطالب عدالة الله. فما عادت عدالة الله ذات تأثير مقيّد يمنعه من إعتاق أولئك الذين سيأتون إليه بالطريق الوحيد (يوحنا ١٤: ٦)، بيسوع المسيح الذي هو كفّارة عن خطايانا.

هناك عبارة في الكتاب المقدس تدل بوضوح على أن هدف الله من إرسال ابنه كان من أجل ذاته. إذ كان يجب أن يبقى باراً ويخلص الخطأة. وهذا نجده في رسالة البحث التي يعرضها بولس عن التبرير بالإيمان. فيصرح هناك بأن الله قد عيّن المسيح كفّارة "... لِيَكُونَ (الله) بَارّاً وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ " (رومية ٣:٢٥، ٢٦). وبناءً على ذلك ما كان الله ليبقى عادلاً باراً ويبرر أي خاطئ بمعزل عن حقيقة أن مطالب عدالته قد حققها يسوع المسيح عندما مات على الصليب.

في تعليقه على (رومية ٣: ٢٥)، يُلفت الدكتور سي. آي. سكوفيلد الانتباه إلى حقيقة أن الكلمة اليونانية التي تُرجمت هنا بـــ"كفّارة" مُستخدمة أيضاً في (العبرانيين ٩: ٥) وقد تُرجمت بـــ"كرسي الرحمة". فالصليب إذاً، حيث تم العمل الكفّاري، بسبب إدانة الخطيئة، قد أصبح الموضع الذي يُظهر الله فيه رحمته. وهذا هو المغزى الأساسي من صليب المسيح. فذاك الذي سيأتي إلى الصليب الذي أدينت عنده خطاياه في شخص المسيح سينال رحمة من لدن الله. وبسبب الصليب تصبح النعمة مطلقة وتملك للحياة الأبدية (رومية ٥: ٢١).

أدرك الإنسان طوال عصور وجوده أن هناك غضب عند الله يجب تهدئته قبل أن يأتي الإنسان إليه، ولكن قلّة نسبية، قلة قليلة، تدرك فعلاً أن الله نفسه قد أمّن الكفارة. فبعد أن أخطأ آدم اختبأ لأنه، كما قال، "كنت خائفاً" (تكوين ٣: ١٠). ومنذ ذلك الحين فصاعداً صار هناك خوف في قلب الإنسان من أن يلتقي بالله بسبب غضبه المفترض على البشر. وتحفل الميثولوجيا بقصص عن أناس يحاولون أن يسترضوا آلهتهم. وكذلك الحال عند الوثنيين الذين يبالغون في التودّد إلى آلهتهم. ولا يخلو العالم المسيحي من الشعور بأن هناك شيئاً مطلوباً ليرضي انتقام الله. و منذ ذلك الحين، كل فكرة لدى الإنسان بأن هناك شيء يمكن فعله لتخفيف عقوبته هي اعتراف بأن غضب الله يجب تهدئته وأن الله ليس ميّالاً إليه بشكل مرضٍ.

الحقيقة التي يتمركز عليها الإنجيل، البشرى السارة، عن نعمة الله، والتي قلما نفهمها، هي أن غضب الله بسبب آثام الإنسان برمّتها قد هدأ بموت ابنه. لقد تم تحقيق مطلب عدالته وإن الله، الآن، وبمحبته، يتوق لمنح الغفران والسلام لكل أولئك الذين يأتون إليه بواسطة الصليب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثامن

متسربلون ببر الله

في الفصل السابع رأينا أنه بما أن يسوع المسيح قد قُدِم كفارة للخطية أمكن لله أن يكون باراً ويبرر الذين يؤمنون بيسوع. فمن الضروري إذاً أن نتأمل مليّاً فيما يفعله الله في تبريره للإنسان.

إن الكلمة التي تُرجمت في النص الأصلي بـــ "يبرّر" أيضاً مترجمة بـــ "برّ". فيجب أن يكون التبرير إذاً مرتبطاً بالبرّ وهو كذلك فعلاً. التبرير هو الفعل. والبرّ هو النتيجة.

لكي يستطيع الإنسان أن يأتي إلى الحضور أمام الله يجب أن يكون لديه منزلة لائقة أمام ناظريه بكل معنى الكلمة. إن كل إثم يُتّهم به الإنسان سيمنعه من رؤية الله. عندما يبرر الله الشخص فإنه يزوّد ذلك الشخص بالموقف القويم الضروري أمامه.

إن التبرير هو أكثر من مغفرة أو مسامحة على الخطيئة. المغفرة فيها معنىً سلبي. إنها تأخذ بعين الاعتبار العقاب بسبب التعدي. أما التبرير ففيه معنىً إيجابي. فهو يضمن للإنسان المكانة التي يستحقها.

الفرق بين المغفرة والتبرير يمكن إظهاره بشكل واضح من خلال أحداث مكيدة عسكرية وعنصرية أثارت العالم برمّته قبل عدة عقود. لقد استخدم كثيرون هذا المثال التوضيحي، ولكن لا بأس في تكراره هنا أيضاً.

أظهر جندي يهودي يُدعى ألفريد دريفس مقدرة مميزة جداً عام ١٨٩١ حتى عُيّن في هيئة أركان الجيش الفرنسي. بعد ثلاث سنوات ألقي القبض عليه، إذ اتّهمَ ببيع معلومات عسكرية إلى ألمانيا. ونتج عن محاكمته فصله من الجيش وإهانته أمام العامة وإلحاقه بمستعمرة على (جزيرة الشيطان) المُستخدمة كعقاب. نزولاً عند المطلب الشعبي أُعيدت محاكمة دريفس عام ١٨٩٩، ولكنه أُدين من جديد. وبسبب السخط العام على نتيجة المحاكمة قام رئيس فرنسا بمسامحة دريفس. ولكن أصدقاء دريفس ما كانوا راضين عن مجرد المسامحة. وفي عام ١٩٠٦ وفي محاكمة ثالثة تمت تبرئة دريفس بشكل كامل. ومُنح رتبة رائد التي كانت أعلى مرتبة وسُجِّل اسمه في سجلّ الشرف.

عندما سُومِح ألفريد دريفس بعد المحاكمة الثانية، فإن عقوبة الجريمة التي كان قد اتُّهم بها أبطلت. وأُخِذ من مستعمرة العقاب على جزيرة الشيطان. وعاد إلى عائلته وأصدقائه، ولكن وصمة العار التي لحقت به كخائن أُلصقت به. ولكن عندما تمت تبرئته في المحاكمة الثالثة ورُقي إلى رتبة رائد وأُضيف اسمه إلى سجلّ الشرف تبرّر أمام العالم بأسره. لقد كانت له منزلة من البرّ الكامل والذي بناءاً عليه كُرِّمَ كواحد من الذين خدموا بلادهم وحققوا لها الفخر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هذا بالضبط ما يحدث عندما يبرّر الله من يؤمن بيسوع. الفرق الوحيد هو أن ألفريد دريفس، الرجل البريء، اتُّهم زوراً وبهتاناً وأُدين، بينما الشخص الذي يبرّره الله هو خاطئ مذنب مدان حقاً، ويستحق القصاص الذي يفرضه الناموس.

كل التعدّيات قد غُفِرت

بما أن الإنسان خاطئ ومذنب، فإنه من الضروري بالنسبة لله، في تبريره للمرء، أن يغفر له أولاً ويسامحه على خطاياه.

مغفرة الله في تخليصه للشخص يقال أنها مغفرة عن "كل الخطايا" (كولوسي ٢: ١٣). هذه المغفرة عن الخطايا ليست كمثل مسامحة الله لخطايا الأبناء نحوه كآب (١ يوحنا ١: ٧ – ٩). إنها مغفرة قضائية شرعية بها يتم إعلان تحرير الخاطئ من كل الآثام. إنها تجري مرّة واحدة وعن كل الخطايا وذلك عندما يأتي الخاطئ إلى الصليب.

إن الله لا يعامل الخطيئة أبداً باستخفاف. ومغفرته ليست مجرد عملية تساهل أو إغفال أو تجاهل العقاب كمثل الحالة عندما يغفر إنسان لآخر. إن الله يغفر فقط لأن القصاص قد دفعه آخر، وذلك الآخر هو يسوع المسيح. "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الأَثَمَةِ، لِكَيْ يُقَرِّبَنَا إِلَى اللهِ" (١بطرس ٣:١٨). لأنه "... بدون سَفْكِ الدمِّ لا تحْصَل مغفرة". فصفح الله يتطلب فداءً.

كرمى للمسيح

يمكن القول أن مغفرة الله للخطايا هي "في المسيح"[١] (أفسس ٤: ٣٢). وهي تتضمن أيضاً تحقيق عدالة الله. فبما أن المسيح مات وبذلك دفع ثمن الخطيئة، فإنه من غير الإنصاف من قبل الله ألا يسامح من يقبل يسوع المسيح ككفارة عن خطاياه. إذا حكم قاضٍ أرضي على متهم بالسجن أو بدفع غرامة وجاء طرف ثالث ودفع تلك الغرامة فإنه سيكون من غير الإنصاف بعد دفع الغرامة أن يسجن الشخص الذي وُجدَ مداناً.

بحسب غنى نعمته

رغم أن مغفرة الله تشتمل ضمناً على عدالته فإنه يمكن القول أيضاً أن هذه المغفرة هي بحسب غنى نعمته (أفسس ١: ٧). وهي كذلك لأن الله بدافع محبته قد أرسل ابنه إلى العالم (يوحنا ٣: ١٦) وبدافع نعمة الله ذاق الابن الموت عن كل إنسان (عبرانيين ٢: ٩). لاحظ: ليس فقط بحسب النعمة بل بحسب "غنى نعمته". ليس من مغفرة مقيدة محصورة عند الله. إنها مغفرة مجانية وكاملة بآن معاً.

إن اكتمال المغفرة في هذا الدهر نراها بشكل واضح عندما نقارنها بمغفرة خطايا قديسي العهد القديم. ففي فترة العهد القديم كانت تتم المغفرة بإزالة الخطيئة من الخاطئ (المزمور ١٠٣:

[١]–"في المسيح": هي في الإنكليزية (for Christ's sake) : والترجمة العربية الأدق هي "كَرْمى للمسيح" أو "كُرْماناً للمسيح"، أي إكراماً له.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

١٢). والأضاحي في العهد القديم كانت للتكفير عن الخطيئة. فأن تكفّر عن الخطيئة يعني أن تغطيها، ولكن ليس أن تتخلص نهائياً منها. وبتلك الأضاحي، ما كان مقدموها يصلون إلى الكمال. وكانت تلك تذكيراً سنوياً بالخطيئة. "لأَنَّهُ لاَ يُمْكِنُ أَنَّ دَمَ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ يَرْفَعُ خَطَايَا" (العبرانيين ١٠:٤). أما حمل الله فيرفع الخطيئة (يوحنا ١: ٢٩) وأولئك الذين يتطهرون مرة عن كل الخطايا بهذا القربان يصلون إلى الكمال إلى الأبد (عبرانيين ١٠: ١٠، ١٤)[١]. هذا الصفح القضائي الكاملٌ والراسخ الثابت للخطيئة هو الذي يعطي المؤمن مكانة أمام الله كإنسان كامل وكأنه لم يقترف إثماً على الإطلاق.

هذا الأمر يمكن إيضاحه من خلال سرد الحادثة التالية التي جرت قبل سنين عديدة. فقد دعا قرينان متزوجان حديثاً أعضاء من عائلتيهما إلى عشاء ليلة أحد. واتخذ الضيوف مجلسهم حول الطاولة. وكان الجميع يبذل جهده لتكون الوليمة على أكمل وجه. وعندما تم تمرير الصلصة الدسمة البنية اللون على الضيوف أمالت إحدى السيدات بدون قصد الزبدية محدثة لطخة بنية كبيرة على غطاء المائدة الكتاني النظيف جداً والناصع البياض. فسارع المضيف بمهارة إلى إزالة الصلصة، ووضع منديلاً فوق البقعة، واستؤنفت الوليمة. لم يُزل المنديل تلك البقعة. كل ما هنالك أنه غطاها بحيث يتابع الضيوف العشاء. بالنسبة لتلك المرأة الشابة التعيسة الحظ التي أراقت الصلصة كان المنديل الأبيض كان مجرد تذكير دائم لها بالحدث الذي جرى. وهكذا كانت الأضاحي في العهد القديم تغطي خطايا الشعب الإسرائيلي ولكنها كانت علامة تذكير دائم بالخطيئة. في اليوم الذي تلا العشاء تم غسل غطاء المنضدة وأزيلت اللطخة عنه. وهكذا الحال بتضحية المسيح يغتسل المؤمنون من خطاياهم بدمه (رؤيا ١: ٥). وليس ثمة منديل يذكّرهم بخطيئتهم.

ومن هنا يتضح أن الله عندما يعالج مشكلة الخطيئة لغير المخلص فإنه لا يطلب منه أن يتجاهل خطاياه وأن يسير على الصراط المستقيم في المستقبل. فهذا غير ممكن بالنسبة لأي أحد كما وأن مشكلة الخطايا السابقة ستبقى بدون حل. لا، إن الله يغفر كل الخطايا قضائياً وبشكل كامل لأن المسيح دفع ثمن هذه الخطايا. وما يطلبه الله من الإنسان غير المخلص هو أن يعترف بأنه خاطئ وأن يقتبل يسوع المسيح الذي حمل وِزْرَ خطاياه. هذا جُلّ ما على المرء أن يفعل لينال مغفرة الخطايا شرعياً.

محاولة الإنسان أن يبرّر نفسه

لقد حاول الإنسان على مر العصور جميعاً أن يبرّر نفسَه أمام الله. إنه ما برح يصنع برّاً مقبولاً لدى الله. وإذ يقوم بذلك فإن هذا البر يصبح براً ذاتياً وليس براً يقدمه الله. والبر الذاتي لا يخلص، بل بالأحرى لا يمكن أن يخلص، أي إنسان. كان الإسرائيليون في عصر بولس يسعون لإقامة برهم الذاتي الخاص. بل حتى كانت لديهم "غيرة لله" (رومية ١٠: ١– ٣). ولكن ذلك لم يضمن لهم الخلاص. كان أولئك الناس متدينين جداً. كانوا يصومون ويتلون صلوات طويلة. كانوا يحفظون جميع الأعياد الدينية ويقيمون العبادة في الهيكل. ولكن لم يخلصوا لأنهم في كل ما كانوا يفعلونه كانوا يحاولون أن يصنعوا برهم الخاص وهذا لم يكن مرضياً في عيني الله.

---

[١]– (عبرانيين ١٠: ١٠، ١٤): "فَبِهَذِهِ الْمَشِيئَةِ نَحْنُ مُقَدَّسُونَ بِتَقْدِيمِ جَسَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مَرَّةً وَاحِدَةً. ... لأَنَّهُ بِقُرْبَانٍ وَاحِدٍ قَدْ أَكْمَلَ إِلَى الأَبَدِ الْمُقَدَّسِينَ ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

واليوم أيضاً يحاول الإنسان أن يؤسس براً يعتقد أنه سيكون مقبولاً لدى الله. ويحاول أن يتبع مثل يسوع وأن يطيع ما جاء في العظة على الجبل. إنه يبذل كل ما في وسعه ليحيا بحسب ما يمليه عليه ضميره. البعض ينضمون إلى الكنيسة، ويعتمدون، ويتلون صلوات ويشاركون في شتى أشكال الأعمال الدينية والخيرية. صحيح أن هذه الأشياء لها أهميتها ودورها، ولكن القيام بها لا يمكن أبداً أن يضيف إلى البر الذي يطلبه الله من الإنسان لكي يستحق أن يمثل أمام حضرته.

يبدو أن البعض يعتقد أن الله يحتفظ بسجلات معهم يحمّلها بكل أعمالهم الشريرة ويحسب لهم كل الأعمال الخيّرة. فإذا كانت كفة الأعمال الصالحة ترجح على الأعمال الشريرة فإنهم يعتقدون أنهم مقبولون أمام الله. ولكن لا يمكن أن تكون هذه طريقة الله لأنه يطلب الكمال في كل الأعمال. إنها ليست مسألة معدّل عالٍ في ضربات ألعاب الكرة. إنها تعني ضرب الرمية الأولى في ككل مرة يأتي دور المرء ليضرب الكرة كل يوم في حياته من المهد إلى اللحد.

وعن البرّ الذاتي كله قال النبي أشعياء: "... كَثَوْبِ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ برِّنَا" (أشعياء ٦٤:٦). وقد قيل أن "ثوب العدّة" هنا يشير إلى تلك الأسمال التي كان المجذومون يرتدونها ولذلك تكون مليئة بالجذام[١]. وبما أن الجذام هو رمز مثالي للخطيئة فإن الصورة تصبح واضحة تماماً لأن كل البرّ الذاتي للإنسان ملوث بالخطيئة. إن كل ما يقوم به الإنسان اعتماداً على نفسه بدلاً من الاتكال على الله، كما رأينا، هو جوهر الخطيئة.

هناك بعض يعتقد أنه بسبب الناموس، وخاصة الوصايا العشر التي أعطاها الله، فإن حفظها يعطي للإنسان مكانة صحيحة أمام الله. وهذا مستحيل لأن الله يطلب طاعة مطلقة وكمالاً ولا يستطيع الإنسان أن يقدم هذه الطاعة. "لأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِماً فِي الْكُلِّ" (يعقوب ٢:١٠). وبسبب ذلك فإنه "... بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلُّ ذِي جَسَدٍ لاَ يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ (أمام الله)" (رومية ٣:٢٠ انظر أيضاً غلاطية ٢:١٦).

لأربعة آلاف من السنين أثبت الإنسان أنه عاجز عن أن يكون بارّاً. وأثبت كل من اليهود والأمميين أنهم تحت الخطيئة. لم يكن هناك من بارٍّ واحد يوجد، لا، ولا واحد (رومية ٣: ٩، ١٠). بالناموس كل فمٍ عجز عن الكلام أمام الله (رومية ٣: ١٩). كان ناموس الله يتطلّب برّاً من جهة الإنسان ولكن الإنسان أخفق في تحقيق ذلك.

البر الذي يطلبه الله هو نفسه يقدمه

لم يعش إنسان مولود من آدم حياة برٍّ كاملة؛ حياةً تعطيه حق الدخول إلى حضرة الله. "إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣:٢٣). ولكن هذا البرّ الكامل الذي يطلبه الله من الذين ينبغي أن يمثلوا أمامه هو نفسه الذي يزودهم به. فهو سوف يُلبس البرّ كالثوب لكل من يقبلون برّه كعطية مجانية.

بينا لم يكن في مقدور أحد من ذرّية آدم أن يحيا حياة برٍّ مقبولة لدى الله، عندما جاء ابن الله إلى هذه الأرض وصار إنساناً حقيقياً وعاش هكذا أيضاً، فقد حقق كل ذرة وكل حرف من ناموس الله (متى ٥: ١٧، ١٨)، وهكذا أظهر برّاً مرضياً لدى الله.

[١]– الجذام: (Leprosy): أو البرص: هو مرض استوائي معدٍ وعضال يصيب الجلد والأعصاب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن مسألة كون حياة يسوع الأرضية مرضية لدى الله أمر لا جدال فيه. وعند دنو نهايتها، أصعد يسوع ثلاثة من تلاميذه معه إلى جبلٍ عالٍ وتجلّى أمامهم. وتراءى موسى أيضاً معه كممثل عن الناموس، وإيليا كممثل عن الأنبياء. وبحضور هذين الشخصين كشهود، تكلم الله من السحابة قائلاً: "هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ" (انظر مَتَّى ١٧:١ –٥). وكان هذا إعلاناً صريحاً عن قبول الله للحياة الأرضية التي عاشها يسوع. فهنا شخص لم يرتكب خطيئة وأعوزه مجد الله. وكان باراً بالكلية وشَهد له بذلك الناموس والأنبياء.

عندما وقف العالم مُداناً أمام الله واتضح أنه ما من إنسان كان بمقدوره أن يتبرر بأعماله الصالحة، فإن الله عندئذ، وفي شخص ابنه الذي يعيش على هذه الأرض كإنسان، كشف برّاً مقبولاً لديه. وهذا البرّ مقدّم الآن للجميع كهبة ولنا أن نتسربله كثوب (أشعياء ٦١: ١٠) نحن جميع الذين يؤمنون. وهذه هي فحوى الرسالة إلى رومية (٣: ١٩ – ٢٢).

بالنعمة وليس بالأعمال

يوضح الكتاب المقدس بشكل لا لبس فيه أنه ما من إنسان يستطيع أن يصنع هذا البرّ مهما فعل من أمور. ونقول أنه يُدخَل إلى حساب كل من يؤمن بيسوع المسيح وفقط بالإيمان. "إِذاً نَحْسِبُ أَنَّ الإِنْسَانَ يَتَبَرَّرُ بِالإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ" (رومية ٣:٢٨). " وَأَمَّا الَّذِي لاَ يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرّاً" (رومية ٤:٥ انظر أيضاً غلاطية ٢:١٦ ؛ ٣:٨، ٢٤ واقرأ رومية الإصحاح ٤). ولذلك فإن الإنسان يُبرّر مجاناً بنعمة الله (رومية ٣: ٢٤).

بالفداء الذي بالمسيح يسوع

إن التبرير يصير ممكناً بالفداء الذي بالمسيح يسوع (رومية ٣: ٢٤). فلأنه اعتُبر ثمن فدية عن الخطيئة، كما أوضحنا للتو، صار بإمكان الله أن يسامح شرعياً الخاطئ وأن يُحسب له برّ المسيح الكامل. عندما حَسِب الله خطيئة الإنسان على يسوع المسيح، أصبح بذلك متّحداً كلياً مع ذاك الذي ارتكب الخطيئة فعلاً ومات كخاطئ. وعندما يحسب الله البرّ للمؤمن يصبح بذلك متّحداً كلياً مع ذاك الذي صار فعلاً برّ الله ويحيا. "لأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيَّةً، خَطِيَّةً لأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللهِ فِيهِ" (٢ كورنثوس ٥:٢١). إن برّاً كاملاً ومعدّاً بتدبير إلهي وحده يسمح للإنسان بالمثول أمام حضرة الله. وليس من برّ بشري ذي عيوب وأخطاء يمكنه أن يفعل ذلك. ولذلك وفقط لأن الله يحسب برّ المسيح لمن يؤمن يصير بمقدور الإنسان أن يحظى بحق الدخول إلى السماء.

وليس من قديس بطرس يقف على بوابة السماء يسأل الناس عن الخير الذي فعلوه كي يسمح لهم بالدخول. إن برّ الله، الذي هو المسيح، هو بطاقة مرور الإنسان الوحيدة إلى السماء، ولكن من تلقّى هذه البطاقة سيدخل إلى السماء بلا ريب لأنه ما من تهمة يمكن أن تُوَجّه إلى هكذا شخص. "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ!" (رومية ٨:٣٣).

التبرير إذاً هو نسب برّ المسيح لمن يؤمن به. إذ تُعزى له حسنات المسيح. وهذا يعطي للمؤمن اعتباراً شرعياً كاملاً أمام الله مثله مثل يسوع المسيح في ذلك وبدون أي فضل أو أهلية من جانب الإنسان. التبرير تطلبه قداسة الله وتؤمّنه محبته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يقدم الكتاب المقدس صورة إيضاحية مثالية عن التبرير. فقد تمثّلت في كلمات (التكوين ٣: ٢١): "وَصَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا.". لقد أخطأ آدم وزوجته. فوقفا عاريين أمام الله وتحت دينونة الناموس الذي انتهكاه. بذبحه لحيوانات بريئة، أعدّ الله أقمصة من جلد ووضعها على آدم وزوجته. بهذا الكساء جُعِلوا مؤهلين للحضور أمام الله. لاحظ أن الله صنع الأقمصة. ولم يساهم آدم وحواء أبدا في ذلك. الله ألبسهما. بل إنهما حتى لم يضعا الأقمصة على أبدانهما بأنفسهما. ولم يُعطوا الله شيئاً مقابل الأقمصة. حصولهما على الأقمصة استوجب موت طرف ثالث بريء.

هذه الأقمصة قدّمها الله لهما فقط بعد أن سمّى آدك زوجته حواء، لأنها كانت أم كل الأحياء. وبقيامه بذلك فإن آدم (وهو تحت دينونة الموت) أظهر إيمانه بوعد الله بأن نسل المرأة (يسوع) سوف يسحق رأس أو قوة الحية التي هي الشيطان. (انظر التكوين ٣: ١٥، ٢٠).

هنا نجد كل عناصر التبرير. الله يعدّ كساءً من البرّ ويُلبسه لكل الذين يؤمنون بيسوع المسيح على أنه من يحررهم من الخطيئة. وليس في مقدور الإنسان أن يقدم شيئاً مقابل هذا الكساء ولا أن يرتديه بنفسه. تحقيق البرّ قد جُعل ممكناً فقط بموت شخصٍ ثالثٍ بريءٍ لا خطيئة فيه، ولو كان يسوع المسيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل التاسع

صرنا فى وفاق مع الله

كما أشرنا سابقاً، بالخطيئة أصغى الإنسان الأول إلى المجرِّب. واستسلم لتأثير وسلطة الشيطان وهكذا أصبح الجنس البشري خاضعاً لسلطانه. وبسبب هذه الحالة، فإن الله ولخلاص الإنسان يجب أن يحرره من سلطان الظلام. إضافة إلى ذلك، وكما رأينا، فبالخطيئة انتهك الإنسان ناموس الله، وصار مذنباً وتحت حكم الموت. فكان لا بد من الضروري أيضاً بالنسبة لله أن يعتقه من لعنة الناموس ومن الوقوع تحت الناموس.

ثمة أمر آخر حصل عندما أخطأ الإنسان. عند إمعان النظر في موضوع الخطيئة رأينا، بما أن الله خلق الإنسان، أن كل ما كان عليه الإنسان وكل ما كان يملكه قد جاء من الله. ولذلك فإن موقف الإنسان الصحيح نحو الله كان في اعتماد كامل عليه. وإن قوام خطيئة الإنسان تتمثّل في إعلان استقلاله عن الله واتكاله على الذات. هذا الموقف الذي اتخذه الإنسان لم يكن سوى تمرّد على الله وسيادته وحكمه على الإنسان بما في ذلك تدبيره نحو الإنسان وعنايته به. عندما تعلن أي مجموعة من الناس استقلالها عن حكومة ما تعيش في ظلها، فإن هذا تمرّد. فإن استطاعوا أن يؤسسوا استقلالاً خاصاً بهم وأن يُوجدوا كحكومة مستقلة فعند ذلك تصبح لهم طبيعة الثورة. لم يكن باستطاعة الإنسان أبداً أن يؤسس وجوداً مستقلاً بمنأى عن الله. هناك بعض ممن يعتقدون ويتصرفون وكأنهم يقدرون أن يفعلوا هذا الأمر نفسه، ولكن طالما أن الإنسان لا يستطيع أن يُوجد بدون شروق شمس الله وهوائه ومطره، فلا يستطيع الإنسان إذاً أن يدّعي الاستقلال عن الله. فكل استقلال للإنسان عن الله إذاً يكون له طابع التمرّد ضده. فكان لا بد للجنس البشري المتمرد من أن يتصالح مع الله.

بإصغاء الإنسان إلى كلمات المجرّب، كما قلنا للتو، أصبح الإنسان خاضعاً تابعاً له. وهكذا صار الإنسان مُبعَداً عن الله وخصماً له. وكانت هنا أيضاً حاجة للمصالحة.

بعد أن خطئ آدم وحواء "... سَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِياً فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ فَاخْتَبَأَ آدَمُ وامرأته مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإله فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإله آدَمَ: «أين انْتَ؟». فَقَالَ: «سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي الْجَنَّةِ فَخَشِيتُ لأني عُرْيَانٌ فاختبأت»" (التكوين ٣:٨ –١٠).

حدث تغيّرٌ في داخل آدم. لقد صار متغرّباً عن الله. فقد أبعد نفسه عنه. وحلّ الخوف من الله محل المحبة والإيمان والثقة. وبدل التقرّب من الله ابتعد عنه. بخطيئته صار آدم مقصيّاً عن الله. وفقدت صداقته مع الله بما كان يلازمها من مشاركة ورفقة وصحبة ومودّة وحلّت محلّها عداوة وتغرّب.

وإذ ورَّث آدم طبيعته الخاطئة إلى ذريته فمع ذلك ورّثه أيضاً حالة العزلة عن الله والشعور بالخوف منه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وليس من حاجة كبيرة لإيجاد دليل على أن الجنس البشري لا يزال في علاقة الانسلاخ تلك مع الله. إن الدليل على خوف الإنسان من الله نجده بآلاف الأمثلة من حولنا. إن كل محاولة من قبل الإنسان لاسترضاء الله وكل محاولة لاكتساب مودّته هي شاهد على ابتعاد الإنسان عن الله. وكل خوف من الموت والدينونة الآتية هي شاهد على انقطاع الانسجام بين الله والإنسان.

إن حالة انفصال كل البشر عن الله تتطلّب عملاً خاصاً من جهة الله من أجل الإنسان. وإن الانعتاق من حالة الوقوع تحت الناموس ومن عقوبة تعدّي الناموس جعلت من الممكن بالنسبة لله أن يبرّر الإنسان بحيث يُحسَب الإنسان بارّاً على نحو كامل أمام ناموسه. ولكن أن تكون على علاقة سليمة مع الله على أساس شرعي مضبوط لا يعني بالضرورة أن تكون على علاقة حميمة معه.

إذا كان كل شخص من اثنين متصادقين جداً مع بعضهما قد ارتكب فعلاً منافياً للشريعة بحيث تسبّب في أذية صديقه، فمن الممكن تسوية الأمر بينهما من ناحية الجانب القانوني بدون العودة إلى حالة الصداقة التي كانت بينهما. قد يبقيا متباعدين عن بعضهما إلى الأبد. وإضافة إلى التسوية القانونية يجب أن تتم مصالحة بينهما. ولذلك وحتى إذا كان الإنسان قد افتُدي من عقوبة الناموس وحُسب بارّاً على نحو كامل في نظر الناموس، فإنه في حاجة أيضاً لأن يتصالح مع الله وهذا جزءٌ من عمل الله في استعادة ما خسره الإنسان بسبب خطيئة آدم. فالمصالحة إذاً هي جزءٌ هامٌ من الخلاص.

إن عمل الله في المصالحة هو لأجل الإنسان. عندما يتصالح شخصان مع بعضهما فمن الممكن، والمرجح أيضاً، أن يكون هناك ما يجب تصحيحه في كل منهما. فيتصالحان مع بعضهما. ولكن ليس الحال هكذا في المصالحة بين الإنسان والله. فالإنسان ليس في حالة انسجام مع الله وهو فقط من يحتاج إلى المصالة. "إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ (على الصليب) مُصَالِحاً الْعَالَمَ (البشر) لِنَفْسِهِ" (٢ كورنثوس ١٩:٥).

المصالحة تعني إعادة المودّة السابقة واستعادة الصداقة والانسجام وألا تكون بعد في حالة اختلاف. الإنسان هو من قطع أواصر الصداقة مع الله. وبالخطيئة صار الإنسان نغمةً شاذةً متنافرةً في عالم الله. وكان لا بد من معالجة السبب الداخلي عند الإنسان الذي أحدث التنافر والابتعاد عن الله. وهذا هو تماماً ما يفعله الله في مصالحته الإنسان لنفسه، لأن "اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ"(٢ كورنثوس ١٩:٥).

وفي التبرير، الذي هو بسبب الفداء، تعتبر تعديات الإنسان انتهاكاً لناموس الله وتُغفر لأن يسوع المسيح الثمن على الصليب واستعاد الإنسان مكانته الشرعية اللائقة أمام ناموس الله. في المصالحة يتعامل الله مع تعديات الإنسان كمثل تلك التي عبّرت عن عصيان الإنسان ضدّ سلطته، بل بالحري ضد حكومته وأيضاً تدبيره لأمور الإنسان.

إن ما سبّب خوف الإنسان من الله، واختبائه منه ، ونشوء عداوة معه وخروجه عن الانسجام معه، لا تحسب ضدّ الإنسان. إن التمرّد الذي حصل يُعتبر وكأنه لم يحدث.

يمكننا أن ندرك رداءة انفصال وتغرُّب الإنسان عن الله بسبب الخطيئة على أفضل وجه إذا فكّرنا في الثمن الذي دفعه الله من أجل المصالحة. فذلك لم يكن إلا موت ابن الله. "... إِنْ كُنَّا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ" (رومية ٥:١٠). وأيضاً "وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلاً أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ ..." (كولوسي ١:٢١، ٢٢).

إن عقوبة التمرد على حكومة بشرية هو الموت. هذا كان يعرفه جيداً بنيامين فرانكلين عندما قال: "يجب أن نُشنَق كلنا معاً، أو أن نُشنَق كلّ منا على حدى". وكذلك الأمر بالنسبة لعقوبة التمرد ضدّ الله يجب أن تكون الموت. ومن هنا فعندما مات المسيح على الصليب لكي يصالح الإنسان مع الله مات عن الإنسان المتمرد.

عندما أحضر قادة اليهود يسوع أمام بيلاطس اتهموه بأنه وُجِدَ وهو يحرّض الشعب فيمنعهم من إعطاء الجزية لقيصر وأنه كان يقول أنه ملك (لوقا ٢٣: ١، ٢). كل هذه هي أعمال تمرّد أو عصيان وعلى أساس هذا التهم حُوكِم يسوع. بعد تفحّصه ليسوع، قال بيلاطس لليهود: "«قَدْ قَدَّمْتُمْ إِلَيَّ هَذَا الإِنْسَانَ كَمَنْ يُفْسِدُ الشَّعْبَ. وَهَا أَنَا قَدْ فَحَصْتُ قُدَّامَكُمْ وَلَمْ أَجِدْ فِي هَذَا الإِنْسَانِ عِلَّةً مِمَّا تَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَلاَ هِيرُودُسُ أَيْضاً لأَنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَيْهِ. وَهَا لاَ شَيْءَ يَسْتَحِقُّ الْمَوْتَ صُنِعَ مِنْهُ. فَأَنَا أُؤَدِّبُهُ وَأُطْلِقُهُ». وَكَانَ مُضْطَرّاً أَنْ يُطْلِقَ لَهُمْ كُلَّ عِيدٍ وَاحِداً فَصَرَخُوا بِجُمْلَتِهِمْ قَائِلِينَ: «خُذْ هَذَا وَأَطْلِقْ لَنَا بَارَابَاسَ!» وَذَاكَ كَانَ قَدْ طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ حَدَثَتْ فِي الْمَدِينَةِ وَقَتْلٍ ... فَحَكَمَ بِيلاَطُسُ أَنْ تَكُونَ طِلْبَتُهُمْ. فَأَطْلَقَ لَهُمُ الَّذِي طُرِحَ فِي السِّجْنِ لأَجْلِ فِتْنَةٍ وَقَتْلٍ الَّذِي طَلَبُوهُ وَأَسْلَمَ يَسُوعَ لِمَشِيئَتِهِمْ" (لوقا ٢٣:١٤ –١٩، ٢٤، ٢٥). فذاك الذي لم يقم بأي تمرّد مات كمتمرد ومن ارتكب العصيان أُطلِق سراحه والسبب هو فقط أن يسوع مات. لو لم يمت يسوع، لكان سيتم صلب باراباس. وليس باراباس هو وحده من حصل على حريته بموت يسوع. فيسوع، بنعمة الله، ذاق الموت عن كل إنسان (عبرانيين ٢: ٩) لعل ذلك المخلوق، وهو الإنسان الذي ارتكب المعصية ضد الله، يتصالح معه.

يُدعى البشر أحياناً ليصنعوا سلاماً مع الله. ليس في الكتاب المقدس أساس يستند إليه هذا المطلب. وفي الواقع إنه يتناقض مع القول بأن "هو (المسيح) سلامنا" وأنه بجسده قد أزال العداوة وبذلك صنع السلام (أفسس ٢: ١٤، ١٥). لا يستطيع الإنسان أن يصنع سلامه مع الله، فكل ما يستطيع أن يفعله هو أن يقبل السلام الذي صُنِعَ لأجله بيسوع المسيح على الصليب والذي قدمه الله له مجاناً. إن المصالحة هي عمل الله وعمله وحده.

بالمصالحة ينتقل الإنسان من حالة العداوة ضد الله إلى حالة السلام معه. عندما وُلِدَ ابن الله كطفل في بيت لحم أنشد الملائكة قائلين: "على الأرض السلام" (لوقا ٢: ١٤). وكان ذلك يعني أن من وُلِدَ آنذاك سيصالح الإنسان بالله.

وأولئك الذين صُولحوا مع الله بدلاً من أن يكونوا مُبعَدين عنه جُعِلوا مقرَّبين إلى الله. صار يمكنهم التواصل بالروح مع الآب. وحلّ شعور المحبة والثقة مكان الشعور بالخوف من الله. "لَيسوا إِذاً بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلاً، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ" (أفسس ٢:١٩). أن يكونوا من عائلة الله يعني أن كل صلاح الله وقدرته متاحة لهم.

بما أن الإنسان لا يستطيع أن يصنع سلامه مع الله كان لزاماً عليه أن يقبل السلام الذي صنعه يسوع المسيح لأجله. فقد أزال الله، بموت يسوع المسيح، ما سبّب العداوة والاغتراب،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ولكن على كل فردٍ أن يغيّر موقفه نحو الله. إذ لا يمكنه أن يبقى على موقفه المتمرد ويتصالح مع الله. قال بولس الرسول: "إِذاً نَسْعَى كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يَعِظُ بِنَا. نَطْلُبُ عَنِ الْمَسِيحِ: تَصَالَحُوا مَعَ اللهِ" (٢ كورنثوس ٥:٢٠). بمقدار استعداد الإنسان للتخلّي عن اتكاله على ذاته وانفصاله عن الله، بهذا المقدار فقط يستطيع أن يتصالح مع الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل العاشر

حياة جديدة بطبيعة جديدة

في الخلاص يقوم الله بما هو أكثر من تحرير الإنسان من سلطان الظلام، وافتدائه من عقوبة الناموس ومصالحته له مع نفسه. كل هذا يمكن أن يعمله الله للإنسان، ورغم عظمته، فإنه إنما إعادة ما خسره الإنسان بخطيئة آدم. إضافة إلى ذلك، فإن الله يجعل الإنسان كائناً أسمى إلى أبعد الحدود من آدم نفسه. وهذا ينجز بالتجدد، أو بالولادة الثانية.

جاء إنسانٌ فريسي يُدعى نيقوديموس إلى يسوع في إحدى الليالي وقال له: "«يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللَّهِ مُعَلِّماً لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هَذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ مَعَهُ»" (يوحنا ٣:٢).

جدير بنا أن نتأمل في نوعية هذا الشخص نيقوديموس. يتم الحديث عنه كإنسان من ذرية آدم. ولأنه كذلك فقد ورث طبيعة آدم الساقطة. لقد كان يهودياً، واحداً من شعب الله المختار. كان فريسياً، أحد أفراد الطائفة الدينية الأكثر تزمتاً بين اليهود الذين كانوا ينفصلون عن الآخرين بادعائهم البر الذاتي. لقد كان مترئساً بين اليهود، وبالتالي عضواً في مجلسهم، السنهدريم. لقد كان معلماً لإسرائيل. وكان الآخرون ينظرون إليه كمرشد في القضايا المتعلقة بالله. وقد كان أحد الذين بذلوا جهداً صادقاً ليحقق مطالب أعظم دستور أخلاقي عرفه العالم حتى ذلك الوقت على الإطلاق، ألا وهو الوصايا العشر والشريعة الموسوية. ومن الواضح أنه كان يتمتع بأعظم شخصية إنسانية تحت ناموس موسى وأي شريعة أخلاقية عاش إنسان في ظلها.

مما لا شك فيه أن نيقوديموس قد عاش بحسب النور الذي كان لديه. لقد كان يسعى على الدوام لأن يتعلم المزيد عن كيف يحيا حياة ترضي الله، ومن هذا المنطلق جاء إلى يسوع ليتعلم منه. فقد رأى نيقوديموس في يسوع معلماً جاء مباشرة من عند الله.

لكي نفهم موقف نيقوديموس من يسوع بدقة من الضروري أن نفكر فيما يستطيع أي معلم أن يفعله لشخص أتى إليه ليتعلم منه. إن كل ما يستطيع المعلم أن يقوم به هو أن يعطي تعليمات. وأما التعلم فيكون من قبل التلميذ نفسه. إن تحسن حياة التلميذ يأتي من تطويره للمواهب الكامنة لديه. وهذه يحرّكها المعلم ولكن ما من موهبة يمكن أن يقدمها المعلم لتلميذٍ لا تكون عند التلميذ أصلاً. ومهما تطورت حياة التلميذ فإنها تبقى على حالها كما كانت في البداية. بمجيئه إلى يسوع كمعلم، فإن نيقوديموس كان يأمل أن يتعلم كيف يطور ويحسّن حياته لتكون مرضية لدى الله. لقد كان طوال حياته يقرأ الناموس كدليل إلى حياة بارة، والآن جاء إلى يسوع لنفس الهدف.

ونظراً لموقف الرغبة في تحسين ذاته الذي أبدا نيقوديموس، فإن يسوع أجابه قائلاً: "«الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لا يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لا يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللَّهِ»" (يوحنا ٣:٣). إن جواب يسوع لنيقوديموس هو جواب ابن الله على رغبة الإنسان في إقامة برّه الذاتي بصلاحه الشخصي كي يحصل على مدخل إلى ملكوت الله. بهذا الجواب، الذي رد به يسوع على أكثر الناس تديناً ودقة وتعلماً وتبجيلاً وسعياً وراء الحقيقة في جيله، أوضح يسوع أن الإنسان الطبيعي،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ومهما كان مهذباً وأخلاقياً ومتعلماً، لا يستطيع بذلك أن يحظَ بدخول إلى ملكوت الله وجنته. فما من شيء عند الإنسان يمكن تطويره لجعل حياة الإنسان مقبولة في نظر الله. فكيف يكون الحال إذاً مع شخص يعرف كل التعاليم السائدة اليوم بأن يسوع كان أعظم معلم على وجه البسيطة وأنه بإتباع تعاليمه يمكن للمرء أن يخلص! في حين أن المخلص يجب أن يفكر ملياً في تعاليم يسوع (التي كان بعضٌ منها للشعب اليهودي فقط) في أن غير المخلص قد يسعى طوال حياته لإتباع هذه التعاليم ومع ذلك يجد في خاتمة حياته أن باب السماء موصد دونه. لقد قال يسوع: "مالم يولدِ الإنسان ثانية، لن يَستطيعَ رُؤية ملكوتِ الله."

إن كلمة ولادة، عندما تستخدم بالمعنى الحرفي، فإنها تعني دائماً أن يأتي مخلوق جديد إلى الحياة. وهذه الحياة هي من طبيعة حياة الوالدين. فعندما يُولد ذئبٌ أو خروفٌ يكون لدينا كائن حي جديد له طبيعة الذئب أو الخروف، بحسب طبيعة الوالدين. وعندما يولد طفل في العالم، تأتي حياة جديدة إلى الوجود. وهذه الحياة لها طبيعة البشر، وكما رأينا، فإن هذه الحياة تكون ذات طبيعة خاطئة. إنها تُصَوَّرُ بالإثم ويُحبَلُ بها في الخطيئة (المزمور ٥١: ٥). هكذا حياة لا يمكن أن تغير طبيعتها. كتب أرمياء النبي يقول: "هَلْ يُغَيِّرُ الْكُوشِيُّ جِلْدَهُ أَوِ النَّمِرُ رُقَطَهُ؟ فَأَنْتُمْ أَيْضاً تَقْدِرُونَ أَنْ تَصْنَعُوا خَيْراً أَيُّهَا الْمُتَعَلِّمُونَ الشَّرَّ!" (أرميا ٢٣:١٣). ولا يمكن القول بأنه توجد في هذه الحياة شرارة إلهية تحتاج لمن يؤججها لجعل تلك الحياة في علاقة حميمة مع الله.

أوضح يسوع أنه لكي تُولدَ ثانية يعني أن تُولدَ من الماء والروح" (يوحنا ٣: ٥). وهذا القول توضحه آية من رسالة بولس إلى تيطس تقول: "لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ –خَلَّصَنَا بِغَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي وَتَجْدِيدِ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (تيطس ٥:٣). أن " تُولدَ من الماء" هو "غَسْلِ الْمِيلاَدِ الثَّانِي". إنه تطهير للفرد من الخطيئة "بغسل الماء بالكلمة" (أفسس ٥: ٢٦). وقال يسوع لتلاميذه: "أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ" (يوحنا ٣:١٥).

أن تُولدَ من الروح هو أن تُولدَ "لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ بَلْ مِنَ اللَّهِ" (يوحنا ١٣:١). هو أن نكون "مَوْلُودِينَ ثَانِيَةً، لاَ مِنْ زَرْعٍ يَفْنَى، بَلْ مِمَّا لاَ يَفْنَى، بِكَلِمَةِ اللهِ الْحَيَّةِ الْبَاقِيَةِ إِلَى الأَبَدِ" (١بطرس ٢٣:١).

بالولادة الجديدة، يصبح الله أباً لكل الذين يُولدون هكذا ويُدعَونَ بالتالي أولاده (١ يوحنا ٣: ١) ولكن بدون تجدد ليس من أبوة إلهية من قبل الله للبشر في هذا الدهر.

مع الولادة الجديدة هناك طبيعة جديدة. إنها طبيعة الله، الذي به تُعطى الحياة. وكما أن حياة من يُولد من الجسد فانية لأن آدم صار فانياً، كذلك الأمر فإن من يُولد من الله تكون حياته أبدية لأن حياة الله أبدية. هذه الحياة الأبدية هي في متناول كل من يولد من جديد (يوحنا ٥: ٢٤). فمن يُولد ثانية لا يمكن أن يموت.

كما أن الحياة القديمة، المولودة من الجسد، لها طبيعة خاطئة، فكذلك الحياة الجديدة المولودة من الله لها طبيعة إلهية (٢ بطرس ١: ٤) وطبيعة خالية من الخطيئة. "كُلُّ مَنْ هُوَ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ لاَ يَفْعَلُ خَطِيَّةً، لأَنَّ زَرْعَهُ يَثْبُتُ فِيهِ، وَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْطِئَ لأَنَّهُ مَوْلُودٌ مِنَ اللهِ" (١يوحنا ٩:٣). هذه الحياة الجديدة ليست تطوراً ينشأ عن "شرارة إلهية" في الإنسان الطبيعي؛ إنها حياة من الله جديدة ومتميزة بالكلية، كما الحياة الطبيعية من أبويين أرضيين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لقد أوضح يسوع لنيقوديموس أن الولادة الجديدة والولادة الطبيعية القديمة أو الجسدية منفصلتان ومتمايزتان. قال: "اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ" (يوحنا ٦:٣). ليس بينهما أي قاسم مشترك، بل بالحري إنهما متضادتان إحداهما للأخرى. "لأَنَّ الْجَسَدَ يَشْتَهِي ضِدَّ الرُّوحِ وَالرُّوحُ ضِدَّ الْجَسَدِ، وَهَذَانِ يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ" (غلاطية ١٧:٥). "فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ وَلكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ. لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ (أي فكر الإنسان الطبيعي) هُوَ عَدَاوَةٌ لِلَّهِ إِذْ لَيْسَ هُوَ خَاضِعاً لِنَامُوسِ اللهِ لأَنَّهُ أَيْضاً لاَ يَسْتَطِيعُ" (رومية ٥:٨ –٧). "وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيّاً" (كورنثوس ١٤:٢).

يتضح مما سبق أنه من المستحيل أن نغير، بالعلم أو الثقافة أو الإصلاح، الحالة الطبيعية للإنسان لنحولها إلى حالة روحية لائقة بملكوت الله.

فالولادة الجديدة، إذاً، هي جواب الله على ذلك الجانب من مشكلة الخطيئة المتعلق بالطبيعة الخاطئة للإنسان. فبالخلاص يُعطي الله للإنسان من خلال الولادة الروحية طبيعة جديدة بريئة من الخطيئة تشبه طبيعته ذاتها.

ولكن ماذا الطبيعة القديمة الخاطئة لأولئك الذين يخلصون؟ ماذا يكون مصيرها؟ إنها تبقى حية في الفرد طالما بقي في جسده الفاني الحالي. وعند الموت، حيث تنفصل روح المخلَّص عن جسده فعندئذ تموت الطبيعة القديمة.

ولأن الطبيعة القديمة الخاطئة تبقى فإن أولئك الذين يخلصون يستطيعون أن يرتكبوا الخطيئة وقد يفعلون ذلك حقاً. وهذا يحدث، خلال الصراع بين الجسدي والروحي، إذ يغلب الجسدي. إن مطلب الله من أولئك الذين يخلصون هو أن "أَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمُ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ" (كولوسي ٥:٣) و"كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتاً عَنِ الْخَطِيَّةِ وَلكِنْ أَحْيَاءً لِلَّهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية ١١:٦).

إن من "يُولد ثانية" "يُخلق في المسيح يسوع" (أفسس ٢: ١٠). "فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ (عند اليهود) يَنْفَعُ شَيْئاً وَلاَ الْغُرْلَةُ (عند الأمميين)، بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ" (غلاطية ١٥:٦). هذه الخليقة الجديدة تأخذ مكان الخليقة القديمة بآدم. "إِذاً إِنْ كَانَ أَحَدٌ فِي الْمَسِيحِ فَهُوَ خَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ. الأَشْيَاءُ الْعَتِيقَةُ قَدْ مَضَتْ. هُوَذَا الْكُلُّ قَدْ صَارَ جَدِيداً" (٢ كورنثوس ١٧:٥). هذه الخليقة الجديدة هي "الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ" (أفسس ٢٤:٤).

وليس من الصعب أن نفهم أن المضيف الملائكي، المصنوع من الكائنات المخلوقة، هو من خليقة متميزة كلياً عن الإنسان. بل حتى أن هناك فارق كبير بين البشر كذرية آدم والخليقة الجديدة في المسيح يسوع، لأن الخليقة الجديدة أعلى حتى من رتبة الملائكة. من الضروري أن ندرك أن من يُولد ثانية ينتمي إلى هذه الطغمة الرفيعة من الكائنات الروحية. ومن الصعب القيام بذلك طالما أن الحياة الجديدة تسكن في أجسادنا الحالية البائدة التي هي من الخليقة القديمة في آدم. فلا يزال فيها دليل كبير على وجود الخليقة القديمة أو الأولى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

لقد رأينا أن الخليقة الأولى قد استمدت طبيعتها الخاطئة من آدم رئيس نسلها. فبخطيئته صار الكل خُطاة وبما أن عقوبة الخطيئة كانت الموت فإن الموت اجتاز إلى كل البشر. "مِنْ أَجْلِ ذلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيَّةُ إِلَى الْعَالَمِ (الجنس البشري) وَبِالْخَطِيَّةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ." (رومية ٥:١٢).

الكلمات التي ميزت الخليقة الأولى التي كان آدم رئيس نسلها كانت "**الخطيئة سادت إلى الموت**". تلك الحالة لا يمكن تبديلها، لأن الله كان قد أمر آدم ألا يأكل من ثمر شجرة معرفة الخير والشر وجعل الموت عقوبة العصيان. وكان هذا يعني الموت بكل معنى الكلمة: الموت الجسدي، والموت الروحي والموت الثاني الذي هو الانفصال الأخير للجسد والنفس والروح عن الله. لقد تمت معصية وصية الله وما كان ليمكن تحاشي العقاب.

عندما صار ابن الله إنساناً وجاء إلى العالم، سكن بين البشر ذوي الخليقة القديمة. ولكنه لم يكن منها. لم يكن من نسل آدم، بل من نسل المرأة. لقد حُمِلَ به بالروح القدس. لذلك لم يكن يمتلك طبيعة آدم الخاطئة. كان ملء الحق (يوحنا ١: ١٤). كان على شبه الجسد الخاطئ (رومية ٨: ٣)، ولكن لم تكن فيه أية خطيئة.

ومن ثم، وبمحبته الفائقة، اتحد بالخليقة الأولى وحمل ذنوبها. لقد كان حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم. وبالنتيجة، ذاق الموت عن كل إنسان (عبرانيين ٢: ٩). وحتى معه، حاولت الخطيئة أن تنتصر حتى الموت.

لكن الله أقامَهُ، "نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ" (أعمال ٢:٢٤). فنهض قائماً غالباً شوكة الموت. ابن الله؟ بلى، ولكنه أيضاً ابن الإنسان. بقيامته كانت هناك خليقة جديدة يقيمها الله من بين أموات الخليقة القديمة. كل الذين يخلصون يُقامون معه في قيامته. "لكن اللهُ الَّذِي ... وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ – بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ – وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ" (أفسس ٢:٤ –٦).

كما كان للخليقة الأولى رأس نسل واحد، فكذلك الخليقة الجديدة لها رأس وهو يسوع المسيح الإنسان (رومية ٥: ١٥). الخليقة الأولى أخذت طبيعتها الخاطئة من رئيس نسلها، آدم. والخليقة الجديدة أخذت طبيعتها البارة من رئيس نسلها، الإنسان يسوع المسيح، لأنه "بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ الْكَثِيرُونَ أَبْرَاراً" (رومية ٥:١٩). وفي كل حالة، طبيعة الخليقة تعتمد على سلوك رأسها. ولا تعتمد على أعمال أولئك الذين انحدروا من رأس ذلك النسل.

وبينما كان ناموس الخليقة الأولى الثابت على الدوام هو **الخطيئة تسود إلى الموت**، صار ناموس الخليقة الجديدة: **النعمة تسود بالبر إلى الحياة الأبدية**. ناموس الخليقة الجديدة هذا هو حتى أكثر ثباتاً من ذاك الذي للخليقة الأولى: "لأَنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً الَّذِينَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (رومية ٥:١٧). وبما أن الرأس لا يمكن إدانته (رومية ٦: ٩، ١٠)، فإن أعضاء الخليقة الجديدة لا يمكن إدانتهم أيضاً.

يتضمن الخلاص، إذاً، أمراً أكثر شمولية واتساعاً من إعادة الإنسان إلى حالة الكمال الأصلية التي كان عليها عندما خُلق. إنه يشتمل على حياة أبدية جديدة لها طبيعة إلهية. وهذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الحياة الجديدة تصبح ملكاً فوراً لمن يؤمن بيسوع المسيح. وكل من هم "مولودون ثانية" يصبحون جزءاً من الخليقة الجديدة الكاملة بشكل لا محدود التي في المسيح يسوع.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الحادى عشر

خلصنـــا بحيـــاته

قال بولس في رسالته إلى مسيحيي رومية: "لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءٌ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالأَوْلَى كَثِيراً وَنَحْنُ مُصَالَحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ" (رومية ٥:١٠). لاحظ الكلمتين: "بالأولى كثيراً": إنه لأمر عظيم أن كل من يؤمنون بيسوع المسيح يُصالحون مع الله بموت ابنه. ولكن الأعظم هو أن كل من يتصالحون مع الله على هذا النحو يخلصون بحياة ابن الله.

وهذا لا يعني أنهم يخلصون بحياة يسوع الأرضية وبإتباعهم له مثالاً في الحياة. الحياة هنا تشير إلى حياة يسوع المسيح الحالية على يمين الله الآب في السماء. وهذا التعليم نجده في المقطع التالي: "وَأَمَّا هَذَا (المسيح) فَلأَنَّهُ يَبْقَى إِلَى الأَبَدِ، ... يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ." (العِبرانيين ٧:٢٤، ٢٥).

المعنى البسيط من كل ذلك هو أن يسوع المسيح بعد موته وقيامته على الصليب ليحرر الإنسان من سلطان الظلام، ولكي يفتديهم من عقوبة الناموس ويصالحهم مع الله، قام من بين الأموات وصعد إلى السماء حيث هو الآن في حضرة الله الآب. وعمله هناك الآن هو أن يضمن لكل الذين يأتون إلى الله به (أي بموته) الخلاص من الغضب وأن يأتي بهم إلى المجد الأبدي في حضرة الله حيث هو الآن. هذا الخلاص يصح القول فيه بأنه الأعظم على الإطلاق.

لأنه مشروط باستمراريته إلى الأبد، فلا بد أن يكون خلاصاً مستمراً لا يبيد. وبهذا المعنى يصور الخلاص بأنه عمل الله الذي لا يخزى.

وأما كيف تؤدي مصالحة أولئك مع الله بموت ابنه إلى خلاصهم فهذا نتعلمه من العبارة : "... هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ." وبمعنى آخر، بما أن ابن الإنسان يشفع لدى الآب الكلي القدرة من أجل الذين جاؤوا إلى الله به، فإن الله سيبذل طاقته كلها كرمى لهم.

يساعدنا كثيراً أن نتمعّن في طبيعة شفاعة يسوع المسيح لدى الآب. ولعل أمثلة عن شفاعته لتلاميذه عندما كان معهم على الأرض يعطينا فكرة عن كيف يطلب إلى الله من أجل كل المؤمنين وهو جالس الآن عن يمين الله.

فقبل خيانة يهوذا له وقبض اليهود عليه، قال يسوع لبطرس: "«سِمْعَانُ سِمْعَانُ هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلَكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ...." (لوقا ٢٢:٣١، ٣٢). إن قراء الكتاب المقدس مطلعون على القصة في (مرقس ١٤: ٥٤، ٦٦– ٧٢) كيف أن يسوع بعد أن نطق بهذه الكلمات أنكره بطرس ثلاث مرات. هل مرّت صلاة يسوع من أجل بطرس بدون أن تُجاب؟ لا. فيسوع لم يطلب ألا يتعرّض بطرس للتجربة، ولا طلب ألا يخفق بطرس وينكره. كلا، بل صلى لئلا يتلاشى إيمان بطرس. و إيمان بطرس لم يَخْزَ. فرغم أنه أخطأ تجاه الرب بنكرانه له، بل حتى لدرجة أن لعنه، إلا أن إيمانه لم يذوي. لقد استعاده، وفي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

حياته بعد ذلك بدا بإيمان أقوى من قبل. ولذلك يصلي يسوع من أجل أولئك الذين أتوا إلى الله به لئلا يفنى إيمانهم.

هناك مثال آخر عن شفاعة الرب لخاصته. وهذا نجده في الأصحاح السابع عشر من إنجيل يوحنا. هذا الإصحاح قد دُعيَ (صلاة يسوع الشفاعية). يوضح يسوع أن هذه الصلاة ليست من أجل العالم (أي كل الجنس البشري)، بل فقط من أجل أولئك الذين أعطاه الآب إياهم من العالم (يوحنا ١٧: ٩). وأولئك هم جميع الذين آمنوا به كابن لله. ولكنها كانت أيضاً من أجل آخرين كثيرين إضافة إلى الذين كانوا على قيد الحياة آنذاك. لم تكن من أجلهم وحدهم. "بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ." (يوحنا ١٧: ٢٠). هذه الصلاة، إذاً، كانت من أجل كل من آمن برسالة الإنجيل واقتبل يسوع المسيح مخلصاً له، وذلك عبر كل العصور من البدء وحتى الآن.

فماذا طلب في صلاته من أجل جميع المؤمنين في الدهر الحالي؟ كانت صلاته الأولى هي: "أَيُّهَا الآبُ الْقُدُّوسُ احْفَظْهُمْ فِي اسْمِكَ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ" (يوحنا ١٧: ١١). كان اهتمامه الأول هو أولئك الذين مات من أجلهم والذين صالحهم مع الله بموته لكي يبقوا في سلام. ولا يزال هذا الاهتمام قائماً حتى يومنا الحاضر نحو أولئك الذين به أتوا إلى الله. فهؤلاء سيخلصون إلى المنتهى.

هل من شك أو احتمال ألا يستجيب الله الآب لهذه الشفاعة من يسوع؟ إن قلنا نعم فهذا يعني أن الله يخذل طلبات استرحام ابنه.

ثم تابع يسوع صلاته بإسهاب من أجل خاصته. فقال: "لَسْتُ أَسْأَلُ أَنْ تَأْخُذَهُمْ مِنَ الْعَالَمِ بَلْ أَنْ تَحْفَظَهُمْ مِنَ الشِّرِّيرِ" (يوحنا ١٧: ١٥). لقد كانت صلاته لأن يحفظوا من الشرير في عالم أثيم أعظم من يُؤخذوا من العالم لئلا يهلكوا. لو كان هناك شك في تحقيق أكبر مطلب إذاً لكان طلب الأقل. ولذلك فإن خاصته، وبسبب شفاعته، يُحفظون بمأمن من الشرير بينما هم في هذا العالم. ولكن هذا لا يعني أنهم لا يخفقون أحياناً كما فعل بطرس، ولكن أن الشرير لن يغلبهم.

ويذهب أبعد من ذلك في صلاته "لِيَكُونَ الْجَمِيعُ (أي جميع المخلّصين في الدهر الحالي) وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيكونوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا" (يوحنا ١٧: ٢١). هذه الصلاة هي ليكون كل المؤمنين في اتحاد كامل (وهذا أكثر من انسجام) مع الله الآب والله الابن على نفس شاكلة الاتحاد القائم بينهما. ما من عقل محدود يمكن أن يستوعب مضامين هذه الصلاة ولكنها ليست سوى وضع إلهي لأولئك الذين يؤمنون بابن الله.

ومن جديد يصلي: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي" (يوحنا ١٧: ٢٤).

كل هذا جزء من شفاعته لأجل خاصته وهو كله جزء من مفاعيل الخلاص بحياته.

ولكن هناك جانب آخر من شفاعة المسيح لأجل خاصته. فشفاعته لها طابع مرافعات محامٍ أمام عدالة المحكمة. فأحياناً يرتكب المُخَلَّصُ خطيئة. وعند حدوث ذلك فإن هناك من له الإذن بالدخول إلى السماء (أيوب ١: ٦) وهذا يأتي بلائحة التهم الموجهة ضد الخاطئ من أولاد الله. وهذا هو إبليس، الذي يُدعى "المشتكي على إخوتنا" ويوجه الاتهام لهم "أمام إلهنا نهاراً وليلاً"

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

(رؤيا ١٢: ١٠). هذه الحالة تتطلب شفاعة ذاك الجالس عن يمين الله. إلا أن المشتكي (المدعي العام) لا يمكنه أن يوجه أي تهمة لأولئك الذين يشفع المسيح لهم. وقد كُتب: "مَنْ سَيَشْتَكِي عَلَى مُخْتَارِي اللهِ؟ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُبَرِّرُ! مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضاً الَّذِي هُوَ أَيْضاً عَنْ يَمِينِ اللهِ الَّذِي أَيْضاً يَشْفَعُ فِينَا!" (رومية ٨:٣٣، ٣٤).

هناك مقطع آخر يصف نفس هذه الحقيقة: "يَا أَوْلاَدِي (أي أولئك المولودون من الله)، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذَا لِكَيْ لاَ تُخْطِئُوا. وَإِنْ أَخْطَأَ أَحَدٌ فَلَنَا شَفِيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ الْمَسِيحُ الْبَارُّ. وَهُوَ كَفَّارَةٌ لِخَطَايَانَا. لَيْسَ لِخَطَايَانَا فَقَطْ، بَلْ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ أَيْضاً" (١ يوحنا ٢:١، ٢).

يعلمنا هذا، إذاً، أنه عندما يرتكب من تبرر بالله بفعل موت ابنه، خطيئة ما فإن الشيطان يتهمه أمام الله. توجه إليه تهمة مخالفة ناموس الله المقدس ولذلك فإنه يستحق الموت. وهنا ينبري له يسوع المسيح، البار، فيرافع عنه كمحامي دفاع ويقول أنه بموته على الصليب قد دفع عقوبة هذه الخطيئة المعينة موضوع البحث وهكذا ينجو موكله من الإدانة. فبسبب هذا الدفاع من قبل يسوع المسيح لا تكون هناك دينونة لذاك الذي تبرر.

هذه المرافعة الدفاعية لا تشترط على من ارتكب الخطيئة أن يعترف أو يتوب أو يصلي أو أي شيء آخر. ويمكننا القول: "إذا ما أخطأ إنسان فإن لنا مدافعاً أمام الآب". وحسنٌ أن يكون الأمر هكذا، لأن خطايا غير معروفة غالباً ما ترتكب ضد الله وما كان للمؤمن أن يتبرر منها لو طُلِبَ إليه القيام بأي أمرٍ أولاً.

هكذا مرافعة يقوم بها المسيح لا يمكن بالطبع أن تدخل إلى حياة أي مؤمن كخبرة. إنه أمر يحصل في السماء في اللحظة التي يخطئ بها أحد أولاد الله، وهذا يحدث أكثر مما يتوقع معظم الناس. ولا يمكن معرفته إلا إذا كشفته كلمة الله. ولذلك فإن المعرفة تشكل عزاءً كبيراً للغاية وتأكيداً لكل من يستطيع أن يرى هذه الحقيقة العظيمة ويدرك كم من مرة يرتكب حتى المخلصون خطايا.

وهذا أيضاً جزء من معنى الخلاص بحياته. ويمكن قول المزيد عن هذا الموضوع، ولكن ما أوردناه هنا يكفي لإظهار أهمية هذا الجزء من عمل الله في الخلاص. فبفضل ذلك، يخلص المؤمن إلى التمام، أو إلى النهاية، كما جاء في ترجمة (عبرانيين ٧: ٢٥)[١]. فسيكون في مأمن طالما أن شفيعه يحيا في السماء وذلك إلى الأبدية.

---

[١] – (عبرانيين ٧: ٢٥): "فَمِنْ ثَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضاً إِلَى التَّمَامِ الَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى اللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثانى عشر

العوائق ومحبة الله التى لا تسقط أبداً

لقد رأينا قبل قليل أنه عندما تم تحقيق مطالب عدالة الله بموت المسيح واقتبال الفرد له ككفارة عن الخطيئة، فعندئذ تصبح نعمة الله سائدة مطلقة في حياة ذلك الفرد. ومنذ تلك اللحظة وصاعداً يتعامل الله مع الشخص حصرياً على أساس النعمة. وبما أن النعمة هي تعبير عن محبة الله اللا متناهية، فإنه يصبح موضع محبة الله.

بعد أن يكون الله قد برّر شخصاً فإنه ما من شيء يمكن أن يفصله عن محبة الله. يقول بولس: "مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ ... فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً وَلاَ عُلُوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةً أُخْرَى تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية ٨:٣٥، ٣٨، ٣٩).

إن الشخص المخلَّص هو هدف محبة الله بدون تحوّل ويتعامل الله معه على هذا الأساس وحسب. فلا يعتقدنّ أحد أن الله يحنق على من يكون قد خلص. ليس من غضب عند الله وفي أي وقت على أولئز الذين اقتبلوا يسوع المسيح كمخلص.

إن محبة الله للعالم جعلته يبذل ابنه. ولأولئك الذين يقتبلون الابن تؤمّن محبة الله لهم كل ما يحتاجونه لنحقيق غايته لأجلهم خلال أي ظرف يمرون به في حياتهم. "الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية ٨:٣٢). و"كل شيء" هي كل ما يخص الابن وملكوته ولذلك قد لا تعني بالضرورة أشياء مادية أو زائلة. في الواقع، قد يمنع الله، كما يفعل غالباً، عن أولاده بركات مادية لكي تزداد بركاته الروحية.

وإن المعاناة من طرف أولئك المخلصين يمكن فهمها فقط على أنها مقتصرة دائماً على عالم الأمور المادية والزائلة. وفي المعاناة، تُمنع عن الإنسان الأشياء المادية أو العابرة أو تُؤخذ منه. قد يصبح الجسد مبتلياً بالأوجاع والأحزان، وقد تفشل الخطط، ونخسر الأصدقاء، وأشياء أخرى قد تحدث. كل هذه هي عيّنة من تلك الأشياء التي يأتيها الله للإنسان كما من خالق للمخلوق. إنها جزء من تدبيره عندما يمرّ أحد أولاد الله بهكذا معاناة، ما لم يكن السبب انتهاكه لقوانين الطبيعة، فإنها تكون بسبب إهماله، فعندها يحجب عنه الله البركات العابرة الأقل في تدبيره لكي يمنحه بركات روحية أعظم منها متأتّية من نعمته.

إن الإنسان الذي يُولد أعمى إنما ذلك لكي تتجلى أعمال الله فيه (يوحنا ٩: ١ – ٣). إن مريم ومرتا، اللتان كان يسوع يحبهما، مرَّتا بأيام من الحزن العميق. "... لأَجْلِ مَجْدِ اللَّهِ لِيَتَمَجَّدَ ابْنُ اللَّهِ بِهِ" (يوحنا ١١:٤). وبولس، الذي خبرَ المعاناة قالَ: " فَإِنِّي أَحْسِبُ أَنَّ آلاَمَ الزَّمَانِ الْحَاضِرِ لاَ تُقَاسُ بِالْمَجْدِ الْعَتِيدِ أَنْ يُسْتَعْلَنَ فِينَا" (رومية ٨:١٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هناك تدبير معين بدافع محبة الله لكل خاصته الذين يأتيهم بالحزن. وهذا يعرف بالتأديب. "يَا ابْنِي لاَ تَحْتَقِرْ تَأْدِيبَ الرَّبِّ، وَلاَ تَخُرْ إِذَا وَبَّخَكَ. لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ. إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلَكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ" (العبرانيين ١٢:٥ – ٨). وهذا يعلّمنا أن كل من يصبح ولداً لله يتأدّب.

كي نفهم معنى تأديب الله علينا أن نلاحظ بانتباه أن هناك فارقاً دقيقاً في المعنى بين الكلمات الثلاث التالية: يعاقب، يعنّف، ويؤدب. الكلمات الثلاثة تتضمن فرض محنة أو أسى وألم على الشخص، ولكن هناك فارق كبير في الهدف الكامن وراء إصابة الإنسان بهذه الأشياء. فالعقاب مفروض بسبب الذنب، لأن الناموس قد انتُهك، ولأجل إرضاء العدالة. وأولئك الذين لا يقبلون يسوع المسيح ككفارة عن خطاياهم سوف "... يُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ" (٢ تسالونيكي ١:٩). وهذا يعني أن عدالة الله سيتم إرضاؤها. إن الله لا يعاقب أولاده البتّة.

التعنيف يدل ضمناً على وجود ذنب معين، لأن المرء تحت الناموس، ولكن الهدف منع هو التقويم والإصلاح للمذنب. وليس فيه إرضاء للعدالة كما في العقوبة.

أما التأديب فيدل ضمناً على نقص في الشخص المتأدّب ولكن ليس ذنباً أو إثماً. والهدف منه ليس تحقيق العدالة، بل دائماً وفقط التطهير من النقائص والعيوب. إن الذهب يُنَقّى لكي تُزال كل الشوائب منه.

فالتأديب، إذاً، هو تعبير عن محبة الله الآب. وبه فإن من يصيبهم الأسى، أولئك الذين تحرروا من العقوبة تحت الناموس، يمكن أن يتنقوا من كل ما لا ينسجم مع قداسة الله.

غاية التأديب هي أنّ يُؤتي من "... الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ، ثَمَرَ برٍّ لِلسَّلاَمِ" (عِبرانيين ١٢:١١).

وهناك تدبير آخر عند الله لأولئك الذين يخلصون وهو أن الله، ومن أجلهم، يمارس كامل قدرته. من يؤمن لا يُترك إلى موارده الخاصة ليتكل عليها. يكتب بولس إلى القديسين في أفسس (وهم كل المؤمنين والقديسين) فيقول أنه لم يتوقف عن ذكرهم في صلواته لكي".... يعرفوا.... ما هي عظمة قدرته الفائقة" نحو أولئك الذين يؤمنون. ثم يصف عظمة قدرة الله التي يستخدمها لأجلهم. إنها حتى نفس القدرة التي أقام بها المسيح من بين الأموات وأجلسه إلى يمينه في السماويات فوق كل الولايات والسلطة والقدرة والسيادة وكل اسم، ليس فقط في هذا العالم، بل أيضاً في الدهر العتيد أن يأتي، وأخضع كل الأشياء تحت قدميه (انظر أفسس ١: ١٦ – ٢٣). وليس في الكتاب المقدس كله وصفاً أعظم من هذا لقدرة الله الكلية، وهذه يصفها الله في أية لحظة من أجل كل مؤمن، حتى أشدّهم ضعفاً وإخفاقاً. هذه القدرة تضمن تحقيق هدفه من الخلاص.

لأن محبة الله تعطي كل الأشياء مع المسيح بالمجّان، وتطهر المرء مما يتعارض مع الانسجام معه، ولأن قدرته اللا محدودة تعمل على الدوام من أجلهم، فهناك تدبير كامل إذاً في الخلاص لأجل كل الذين يخلصون.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثالث عشر

الذين نالوا الخلاص ومركزهم فى الأبديّة

يقول الكثيرون ممن يدعون أنهم مسيحيون أنهم لا يهتمون بحالتهم المستقبلية، بل أن ما يهمهم هو الوقت الحاضر. ولكن الكتاب المقدس يعلّم أن الحالة المستقبلية هي الأهم. فبالدرجة الأولى، إن الحياة الحاضرة مقتصرة على امتداد زمني يصل إلى بضع سنوات بينما المستقبل يمتد إلى الأبدية. ثم، وإذ هنالك أمجاد للخلاص على المؤمنين أن يستمتعوا بها، وخلال وجودهم في الحسد الحالي، فإنه لا يزال هناك وجود للخطيئة وتبعاتها من فقر ومرض وموت وألم، وهذه لا يمكن اجتنابها خلال الحياة الحاضرة. في الواقع إن الوجود الأرضي للإنسان المخلّص ما هو إلا فترة تحضير للحالة الأبدية. ويبدو أن قلةً فقط يدركون الأمجاد التي تنتظر أولئك الذين يخلصون وكم هي رفيعةٌ المكانة التي سيتمتعون بها في حياة أبدية لا انقضاء لها. إن العقل المحدود يعجز عن إدراك عمق كل ذلك ولكن الكتاب المقدس يكشف لنا ما فيه الكفاية ليرينا أن ذاك سيكون أعظم ما طرأ في ذهن مخلوق من مخلوقات الله أو حصل عليه.

الحالة الأبديّة لمؤمني هذا العصر ستُستَهلُّ بعودة الرب يسوع المسيح. "لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلاً. ثُمَّ نَحْنُ الأَحْيَاءَ الْبَاقِينَ سَنُخْطَفُ جَمِيعاً مَعَهُمْ فِي السُّحُبِ لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ، وَهَكَذَا نَكُونُ كُلَّ حِينٍ مَعَ الرَّبِّ" (١ تسالونيكي ١٦:٤، ١٧). "هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا (أي لا نموت كلنا) وَلَكِنَّنَا كُلَّنَا نَتَغَيَّرُ فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هَذَا الْفَاسِدَ لاَ بُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ وَهَذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هَذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ وَلَبِسَ هَذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ»" (١كورنثوس ٥١:١٥ ،٥٤). هذا هو الرجاء المبارك الذي يعيش المؤمنون عليه الآن. عندما سيكون ذلك قد حدث، يكونُ الله عندئذ بعمله الخلاصي قد أزال كل ذرة من نتائج خطيئة آدم بما في ذلك الفساد والفناء.

لكن ستكون هناك أشياء أخرى أكثر من ذلك بكثير. فالمخلَّصون سيكونونَ إلى الأبد "مَع الرب". كان هذا وعده لتلاميذه: "أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَاناً ... آتِي أَيْضاً وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً" (يوحنا ٢:١٤، ٣). وحتى من قبل تأسيس العالم، كان مؤمنوا هذا الدهر قد اختارهم الله الآب بالمسيح ليَكُونُوا مقدّسين وبلا لوم "قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ" (أفسس ٤:١). قالَ يسوع مخاطباً أبيه: "أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ." (يوحنا ٢٤:١٧). أن يكونوا في حضرة الله الآبِ يَتمتّعُون بمحبَّتِه برفقة ابن اللهِ وأن يعاينوا مجدَه هي الصورة المحددة التي سيكون فيها كل إنسان مُخلَّص. وإلى ذلك هناك أيضاً المزيد.

سوف لن يكونوا فقط مَع يسوع المسيح، بل سيَكُونونَ مثله. "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ" (١ يوحنا ٢:٣). "وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ (آدم) سَنَلْبَسُ أَيْضاً صُورَةَ السَّمَاوِيِّ" (١كورنثوس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٤٩:١٥). ذلك لأنَّ الرب يسوع المسيح "... سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ" (فيليبي ٢١:٣).

أن نصير على صورة ابن الله يوحي بمكانة مجيدة للغاية. وبهذا الفحوى نجد دعوة الإنجيل "... لاِقْتِنَاءِ مَجْدِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢ تسالونيكي ١٤:٢). ورغم أنَّهم لم يختبروه بعد، إلا أنَّه قد أُعطيَ بيسوع لأولئك الذين أعطاهم الآب له. (يوحنا ٢٢:١٧). و"مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَعَهُ فِي الْمَجْدِ" (كولوسي ٤:٣).

ولكن الله قد أعد للمخلصين أموراً أكثر من التحرر من تبعات الخطيئة، ألا في أن يَكُونوا إلى الأبد مَع المسيح، وأن يتحولوا إلى صورتِه وأن يتمتعوا بمجده. إذ سيدخلون في اتحادٍ كامِلٍ مَع الله. وهذا بالتأكيد أكثر من حالة انسجام مع الله. إن الملائكة هم في حالِ انسجام تام مَع الله، لكنَّ لهم منزلة مختلفة. إنهم من طبقة أو مستوى مختلف. لقد صَلّى يسوع إلى أبيه قائلاً: "لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ هَؤُلاَءِ فَقَطْ (التلاميذ) بَلْ أَيْضاً مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِي بِكَلاَمِهِمْ لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِداً كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضاً وَاحِداً فِينَا" (يوحنا ٢٠:١٧، ٢١). هذا لا يمكن أن يكون أقل من أن يُرفعوا إلى مستوى الله، فبذلك فقط يمكن أن يكون هناك نفس الاتحاد كمثل ذاك الذي نجده الآن بين الله الآب والله الابن.

هناك تصريحات أخرى فيما يتعلق بالمخلّصين في هذا العصر تؤيد القول السابق. "لأَنَّنَا أَعْضَاءُ جِسْمِهِ، مِنْ لَحْمِهِ وَمِنْ عِظَامِهِ. مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الإِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. هَذَا السِّرُّ عَظِيمٌ، وَلَكِنَّنِي أَنَا أَقُولُ مِنْ نَحْوِ الْمَسِيحِ وَالْكَنِيسَةِ" (أفسس ٣٠:٥– ٣٢). هنا العلاقة بين المسيح والمُخلَّصين هي تماماً كالعلاقة بين الزوج والزوجة. فكما أن الزوج وزوجته يجب أن يكونا على نفس المستوى، كذلك الأمر المسيح والكنيسة. الغاية العظمى التي سيصار إلى إيصال المخلصين إليها إذاً هي الارتقاء إلى مستوى إلهي.

لو أن الله خلص الإنسان من الخطيئة وأعاده إلى الحالة الأصلية التي كان آدم عليها وحسب لكان هذا العمل وحده أمراً عجيباً. فإن فعل أي شيء علاوة على ذلك مانحاً إياه مرتبة ملاك فسيكون هذا أمراً أعظم بالحري. وإن أعطاه مرتبة رئيس ملائكة أو أن يكون أحد السيرافيم أو الشيروبيم فسيكون هذا أيضاً أعظم. فما بالك إذا قام الله بأعظم من كل ذلك، وتحديداً رفع المخلصين في هذا العصر حتى إلى منزلته نفسها!

لأن هذه الحقيقة قلما ندركها فإنه حسنٌ أن نكرر القول بأننا سندرك العجب العُجاب في الموضوع عندما يتذكر المرء كيف أن لوسيفوروس كان يرغب في أن يكون مثل العلي القدير وحاول أن يحقق ذلك بجهوده الذاتية. ولنتذكر أيضاً أن توعد الشيطان بأن يكون مثل الله جعل الإنسان يخطأ ويعصى الله. ولا ننسَ أن لوسيفوروس والإنسان كلاهما سعيا إلى ذلك بالاجتهاد الشخصي وبالتمرد على الله، في حين أن الله نفسه قد أعطى المخلوقات المتمردة، ولمجرد قبولها بابنه كفارة عن خطاياهم، "خلاصاً هذا مقداره"!

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الرابع عشر

الخلاص من الله فى يسوع المسيح

بما أن طبيعة الإنسان الآثمة بالولادة تجعله يعتمد على نفسه، فإنه يصرّ على أن يساهم في القيام بعمل ما من أجل خلاصه الذاتي. وهذا هو الأمر الأصعب الذي ينبغي على الإنسان أن يتعلم أنه لا يستطيع القيام به. وهذا بلا شك السبب الذي لأجله نجد الكتاب المقدس يكرر التأكيد في كل مرة على حقيق أن ما حدث بالخلاص هو من الله – الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس. ولذا فمن الضروري الإشارة أنه لا يزال هناك تأكيد من الله على حقيقة أن الخلاص هو به، وبه فقط.

إن الاعتقاد بأن الإنسان يمكن أن يساهم بأي شكل من الأشكال في خلاص ذاته يعني الفشل في فهم حقيقة أن المحدود لا يمكنه أن يساهم في عمل اللا متناهي. إنه فشلفي إدراك حالة الإنسان الساقط العاجزة والغراقة في الخطيئة.

إنه من الضروري أيضاً للجميع أن يدركوا مع داوود، صاحب المزامير أن "لِلرَّبِّ الْخَلاصُ" (المزامير ٣:٨)، وبأنَّ "الرَّبُّ نُورِي وَخَلاصِي" (المزامير ٢٧:١)، وبأنَّه "إِنَّمَا هُوَ صَخْرَتِي وَخَلاصِي مَلْجَإِي" (المزامير ٦٢:٢).

خلاص منبعه محبة الله

لا يحب الله الإنسان وحسب. بل إنه محبة (١ يوحنا ٤: ٨). فبهكذا شخص صُنِعَ الخلاص. وأن يكون الخلاص هو التعبير عن محبة الله حقيقة يتكرر ذكرها مراراً في الكتاب المقدس.

لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣:١٦). وبما أن مقياس محبة الله كما يرد هنا هو ابنه، وبما أنه لا متناه، فبالتالي تكون محبة الله للبشر لا متناهية، ولا يمكن أن تحد خطيئة الإنسان منها.. " وَلَكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً (أي محبة الله الفاعلة). " (رومية ٥:٢٠).

وتعلن الفقرات التالية أنّ الخلاص هو بسبب محبة الله. "وَلَكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية ٥:٨). "بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يوحنا ٤:٩، ١٠). "اللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا . أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ" (أفسس ٢:٤، ٥).

أنه تعبير عن محبة الله أن أولئك الذين يخلصون يُدعون أولاد الله (١ يوحنا ٣: ١)، وتقويمه، وتأديبه لأولاده، كما رأينا في الفصل XII، هو أيضاً بدافع محبته لهم (عبرانيين ١٢: ٦). إنه هدف الله أن يكونوا إلى كل الأبدية أمامه في محبة (أفسس ١: ٤). ويعلن بولس في لهجة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

أكثر ما تكون توكيدية أن ما من شيء يمكن أن يفصل أولئك الذين تبرّروا عن محبة الله التي في المسيح يسوع.

الخلاص، إذاً، هو عمل الله من أجل الإنسان الساقط والدافع له هو محبته اللا متناهية. أوليس من المهين إذاً لمحبة الله الاعتقاد بأن على الإنسان أو أن باستطاعته حتى أن يفعل أي شيء، مهما كان حجمه، ليسهم في تمام ذلك الخلاص الكامل؟

إن الخلاص هو بالله وحده بمعزل عن أي مشاركة بشرية أمرٌ واضح من المصدر ومن التنفيذ لمخطط الله الخلاصي.

لقد وضع الله مخطط الخلاص والهدف منه منذ قبل أن يكوّن الأرض وذلك بوقت طويل. ولقد اختار المسيح المؤمنين منذ قبل تأسيس العالم (أفسس ١: ٤). الحياة الأبديّة "وَعَدَ بِهَا اللهُ ... قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (تيطس ١:٢). وموت المسيح على الصليبِ كـــ "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١:٢٩) كان "مَعْرُوفاً سَابِقاً قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ" (١ بطرس ١:٢٠). ولقد تقرر الخلاصُ في مجالسِ الله قبل زمن طويل من ظهور الإنسان إلى الوجود. وبالتأكيد لم تكن للإنسان أيَّة علاقة بتلك الخطط.

إن التجدّد، أو الولادة الثانية، والتي بها يتلقى الإنسان الحياة الأبدية ويدخل إلى ملكوت الله (يوحنا ٣: ٣، ٥) هو من الله. وتعبر عنه بشكل بليغ الآية أن "لَيْسَ مِنْ دَمٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ" (يوحنا ١:١٣). وبما انه ما من إنسان قد شارك في ولادته الجسدية فكذلك لا يمكن للإنسان أن يساهم في ولادته الروحية. وعندما يولد هكذا فإنه يخلص إلى الأبد لأن له حياة أبدية.

يوبّخ الروح القدس عالم الخطيئة غير المخلَّص في (يوحنا ١٦: ٨، ٩). فالمسيح قد افتدى البشر بدمه من أجل الله (رؤيا ٥: ٩). "اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ (على الصليب) مُصَالِحاً الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ" (٢كورنثوس ٥:١٩). فالله هو الذي يبرّر (رومية ٨: ٣٣). والبار بالإيمان يحيا (رومية ١: ١٧)، ولكن يسوع هو مُبدي الإيمان ومكمّله (عبرانيين ١٢: ٢)، والله هوالذي يعمل في المؤمنين "لكي يريدُوا وَأَنْ يعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ" (فيليبي ٢:١٣). وإن المؤمنين يُحفَظون بقوة الله وباسمه (١ بطرس ١: ٥ ويوحنا ١٧: ١١). وفي النهابة سوف يغيّر الرب يسوع المسيح أجساد جميع المؤمنين ليصيروا على شبه جسده الممجد (فيلبي ٣: ٢١). ويمكن الاستناد إلى مقاطع كثيرة أخرى في الكتاب المقدس، ولكني اكتفيت بهذه لإظهار تأكيد الله على حقيقة أنه هو من يخلص البشر. فأين نجد في كل هذا مكاناً يساهم الإنسان فيه بأي أمر بهذا الحضور؟ نظراً لطبيعة الأمور التي تجري يبدو أن هذا الاحتمال مستحيلاً.

"الرب... خلاصي"

"هو وحده... خلاصي"

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بـيسوع المسيح

هي ذي أيام ارتداد ديني إذ نجد أن عقيدة الثالوث منبوذة بشكل واسع وفكرة التوحيد، التي تنكر لاهوت يسوع المسيح وتعلّم أن الخلاص هو بحسب خلق الإنسان وشخصيته، نجدها موضوع التعليم. ولذلك فمن الهام جداً أن نلاحظ ما يعلمنا إياه الكتاب المقدس خاصة فيما يتعلق بدور يسوع المسيح في الخلاص. من غير الممكن أن نفكر بخلاص الله وقد قدمه لنا بكلمته دون أن ندرك أن يسوع المسيح هو المخلص وأن الخلاص يكون به. ولكن بسبب نكران عمل المسيح في الخلاص كان لابد من الإشارة إلى أنه بمعزل عن المسيح ما من خلاص للإنسان. ونكران هذا التعليم هو نكران لجوهر الكتاب المقدس برمته.

قال يسوع لتلاميذه: "أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ فَآمِنُوا بِي" (يوحنا ١٤:١). فلا يكفي الإيمان بالله – أي الإقرار بأن هناك إله خلق الإنسان ويعتني به. من الضروري أيضاً بآن معاً أن نؤمن بابنه يسوع المسيح. والأمر كذلك لأنه لا أحد يستطيع أن يأتي إلى الآب إلا به. فقد قال: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يوحنا ١٤:٦).

هو الطريق: أي هو الطريق إلى الله. ما من إنسان يستطيع أن يجد الله بمعزل عن يسوع المسيح. ما من إنسان رأى الله، إلا ابن الله. عندما عاش على الأرض كإنسان بين البشر أظهر الله للإنسان. إنه الحقن وهو الحياة. فرفضه يعني رفض الحق والحياة كلاهما والطريق الوحيد إلى الله. "مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ" (١يوحنا ٥:١٢). لقد ذكرت إرسالية إلى الكونغو أن السكان الأصليين في تلك الأرض يعتقدون أن هناك سماء وهناك جحيم. ويؤمنون أيضاً أنه لا يمكن للإنسان، بسبب حالته الشريرة، أن يذهب إلى السماء، بل إنه ذاهب إلى الجحيم لا محالة. ولذلك فإنهم يتعبدون لإبليس حاكم الجحيم. فيقدمون له الأضاحي لتخفيف عقوبتهم في الجحيم. بالنسبة لهم ليس هناك وسيلة للوصول إلى الله لأنهم لم يعرفوا يسوع المسيح، الطريق الوحيد إلى السماء وإلى الآب. إنهم لا يرتكبون خطأ أولئك الذين يؤمنون بنظرية التوحيد، متجاهلين الطريق الوحيد، وساعين للذهاب إلى الله بفضل استحقاقهم الذاتي. إذ يرون عجزهم الذاتي عن إرضاء الله، فإن سكان الكونغو الأصليين يرون الحق أفضل من أولئك الذين يدعون أنفسهم مسيحيين.

إن الإنسان، وبسبب الخطيئة، انفصل عن الله وأغلق عليه من دونه. فلا يمكنه المجيء إليه إلا بيسوع المسيح. "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمال الرسل ٤:١٢). "الآبَ قَدْ أَرْسَلَ الابْنَ مُخَلِّصاً لِلْعَالَمِ" (١يوحنا ٤:١٤). " ... كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ (أي الابن) أَعْطَاهُمْ (الله) سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ" (يوحنا ١:١٢). "فَالَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَ حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يوحنا ٣:٣٦).

حقيقة أن ليس هناك خلاص بدون يسوع المسيح، الذي كان في الحقيقة ابن الإنسان وابن الله، نجد المزيد من الإثباتات عليها في أن الكتاب المقدس، عندما يتحدث عن الأمور المتعلقة بالخلاص، فإنه لا ينفك يذكر حقيقة أن هذه الأمور هي إما في المسيح، أو بالمسيح، أو مع المسيح، أو من خلال المسيح. فهو دائماً مرتبط بما يفعله الله لخلاص الإنسان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ما يلي هو فقط غيضٌ من فيض من الإشاراتٍ إلى الدمج القائم بين يسوع المسيح والخلاص. إنها تظهر دور يسوع الحيوي في الخلاص. فهدف الله الأبدي فيما يتعلق بالخلاص لهذا العصر كان قد وُضِع على أساس أن المسيح يسوع هو الذي سيحققه (أفسس ٣:١١). لقد تم اختيار المؤمنين بيسوع المسيح قبل تأسيس العالم (أفسس ١:٤). وإن الله يُخلِّص "بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ الَّتِي أُعْطِيَتْ لَنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ" (٢تيموثاوس ١:٩). إنه "حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ" (يوحنا ١:٢٩). غِنَى نِعْمَةِ اللهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ (أفسس ٢:٧). ولنا في الابن "الْفِدَاءُ، وبِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا" (كولوسي ١:٢٠)، ذلك لأنَّه كَفَّارَةٌ لِخَطَايَا كُلِّ الْعَالَمِ (١يوحنا ٢:٢). وقد عَمِل الله الصُّلْحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، لِيُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ (كولوسي ١:٢٠). ويصير المؤمنون مقبولين بالابن الحبيبِ (أفسس ١:٦ و مَتَّى ٣:١٧)، ومَملوئين فيه (كولوسي ٢:١٠). إنهم عَمَلُ الله "مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ" (أفسس ٢:١٠).

ما من شيء يمكن أن نتصور أن الله فعله للإنسان في الخلاص كان ليمكن أن يحدث في منأى عن ابن اللهِ، وإن كلمة الله توضح بشكل أكيد دائم هذه الحقيقة. لذلك لا يمكن أن يكون هناك خلاص لمن ليس في حياته مكان ليسوع المسيح كابن الله.

إن كان الخلاص من الله وحده وإن كان عمله ينحصر بابنه كوسيط، فهل بقي متسع لأي مساهمة من قبل الإنسان؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الخامس عشر

الخلاص بالنعمة بالإيمان، وإلا فكيف يخلص الإنسان؟

هناك سؤال هام يطرأ على ذهن كل إنسان. ألا وهو: أنّى للمرء أن يدخل إلى كل هذه الأمور التي يشتمل الخلاص عليها؟ ما الذي يجب فعله، إن كان هناك ما يمكن فعله، لكي يخلص الإنسان؟ عندما يتم تفسير الكتاب المقدس بشكل صحيح نجد أنه يعطي إجابة بسيطة ومحددة قاطعة.

الخلاص هو بالنعمة من جهة الله ويتلقاه الإنسان بالإيمان: "لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالإِيمَانِ، وَذلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلاَ يَفْتَخِرَ أَحَدٌ" (أفسس ٢:٨، ٩).

بالنعمة

النعمة هي إحدى أروع الكلمات في الكتاب المقدس، إنها تتحدث، ليس عما يفعله الإنسان لأجل الله، بل ما يفعله الله لأجل الإنسان. ويمكن القول أنها عناية الله الفائقة من خلال عمل محبته غير المحدودة واللامتناهية لأجل من يؤمن به. إنها لطف الله ومحبته للبشر، والتي بها قدّم للمسيحي بيسوع المسيح كل ما هو عليه وكل ما لديه: "اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضاً مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" (رومية ٨:٣٢).

الله محبة والنعمة هي التطبيق العملي لتلك المحبة.

النعمة تُعطى بدون استحقاق. وفي الواقع إن عدم أهلية الإنسان هي النعمة الممكنة. لو أن الإنسان لم يُخطئ لما كان يسوع المسيح بنعمة الله قد ذاق الموت لأجل كل إنسان (عبرانيين ٢: ٩).

إن عمل النعمة لا تمنعه الخطيئة ولا تحده أيضاً. "لكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدّاً" (رومية ٥:٢٠). "لكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رومية ٥:٨). قالَ أحدهم: "لا تعمَلُ النِعمةُ بالذي تَجِدُه، لكن بالذي تَأتي به."

إن كل ما يتضمنه الخلاص هو بالنعمة. إنه ليس ما يعمله الله لإزالة خطيئة وإثم الإنسان ولاستعادة ما فقد بسقوط الإنسان وخطيئته وحسب. بل يشتمل على كل ما يصنعه الله لجعل المفتدى على صورة ابنه بالذات ولوضعه في غمرة من المجد الأبدي.

إن الخلاص بمعناه الأشمل، المتضمن عمل الله الماضي والحالي والمستقبلي لأجل المؤمن، هو سلسلة مستمرة من أعمال النعمة. "اَلْكَلِمَةُ (إبن الله) صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا ... مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. وَمِنْ مِلْئِهِ (بالنعمة) نَحْنُ جَمِيعاً (المؤمنين) أَخَذْنَا وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ" (يوحنا ١:١٤، ١٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

بـنعمةِ الله ذاقَ المسيح الموت لأجل كُلّ البشرِ (العِبرانيين ٢:٩). الخطايا مَغْفُورة بحسب غنى نعمةِ الله (أفسس ١:٧). يُبرَّرُ المذنبون مجَّاناً بنعمتِه (رومية ٣:٢٤) وتملُكُ النِعمةُ إلى الحياةِ الأبديّةِ (رومية ٥:٢١). قالَ الرسول بولس ، "... بِنِعْمَةِ اللهِ أَنَا مَا أَنَا" (١كورنثوس ١٥:١٠).

وقالَ الله بأنّ نعمتَه كَانتْ كافية لَهُ (٢كورنثوس ١٢:٩). بالنعمةِ هناك نجاة مِنْ قوَّةِ الخطيئة في حياةِ المؤمنِ (رومية ٦:١٤). بالنعمةِ يحافظ المؤمنِ على تصرفه صحيحاً تجاه العالمِ ومَع إخوته القديسين (كورنثوس ١:١٢). لأَجْلِ تَكْمِيلِ الْقِدِّيسِينَ، لِعَمَلِ الْخِدْمَةِ، لِبُنْيَانِ جَسَدِ الْمَسِيحِ، أُعْطِيَتِ النِّعْمَةُ للقدِّيسين (أفسس ٤:٧،١٢، ١٣). هناك نعمة بها نَخْدِمُ اللهَ خِدْمَةً مَرْضِيَّةً، بِخُشُوعٍ وَتَقْوَى (العِبرانيين ١٢:٢٨). نِعْمَةَ اللهِ الْمُعْطَاةَ فِي كَنَائِسِ مَكِدُونِيَّةَ، أَنَّهُ فِي اخْتِبَارِ ضِيقَةٍ شَدِيدَةٍ فَاضَ وُفُورُ فَرَحِهِمْ وَفَقْرِهِمِ الْعَمِيقِ لِغِنَى سَخَائِهِمْ (٢كورنثوس ٨:١ -٤). والله قادر على جَعْل كُلّ النعمة تُكثرُ نحو المؤمنين؛ لكي تكون عِنْدَهُمْ كفايةٌ دائماً في كُلّ الأشياءِ ويُكثرونَ في كُلّ عمل صالح (٢كورنثوس ٩:٨). هناك النعمة للمُسَاعَدَة في أوقاتِ الحاجةِ (العِبرانيين ٤:١٦). يُثبَّت الْقَلْبُ بِالنِّعْمَةِ (العِبرانيين ١٣:٩) اللهُ أَعْطَانَا عَزَاءً أَبَدِيّاً وَرَجَاءً صَالِحاً بِالنِّعْمَةِ (٢تسالونيكي ٢:١٦).

إضافة إلى هذا كله، هناك وعد بالنِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتَى بهَا إلى المُؤمِنين عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (١بُطرُس ١:١٣). وبالتأكيد كُلّ هذا نعمة فوق نعمةٍ بذاك الذي كَانَ مليئاً بالنعمةِ والحق. إن الخلاص برمته بالنعمة.

ليس منكم

ليس للإنسان أن يعمل عملا لأجل خلاصه الشخصي لأنه "ليس منكم". وحسنٌ أن الأمر هكذا لأن الإنسان آيل للسقوط ومحدود وكل ما يفعله لأجل ذاته محكوم عليه بالفشل آجلاً أم عاجلاً. لذلك فإن فعل شيئا لتحقيق خلاصه الذاتي فإنه سيكون غير تام وغير كامل. إلا أن الخلاص هو كلياً من الله وكل ما يفعله كامل ولن يفنى: هُوَ. مِنَ الإِيمَانِ كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ (ولذلك فهو من الله)) لِيَكُونَ الْوَعْدُ وَطِيداً" (رومية ٤:١٦).

عندما يفكر المرء بلا محدودية الخلاص، فهل من الممكن للإنسان الناقص الساقط الخاطئ أن يساهم بأي دور يمكن أن يعتبره الله ثمناً لذلك الذي يقدمه له كجاناً؟

ليس الأمر مسألة تسليم الحياة والقلب لله أو الإذعان له. فهذا جزء من التقديس أو التكريس الديني ولكنه ليس شرطاً لنيل الحياة الأبدية. إن كان هناك من ضرورة، لكان الخلاص بالأعمال. إلا أن هناك استسلام لله يجب أن يقدمه الإنسان لكي يخلص. فلابد أن يكون هناك تسليم أو إذعان وتخلٍّ عن كل اعتماد شخصي على البر الذاتي كوسلة لنيل الخلاص.

بما أن جوهر الخطيئة هو رغبة الإنسان في الاتكال على ذاته وفي الاستقلال عن الله، فإن كل محاولة من قبل الإنسان لفعل شيء ما بنفسه بدلاً من الاتكال الكامل على الله تصبح خطيئة جديدة تُضاف إلى خطاياه وتبعده عن الله.

الدرس الأصعب الذي يجب على الإنسان أن يتعلمه هو ألا يفعل شيئاً أيّاً يكن لمساعدة الله في عمله الخلاصي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ليس بالأعمال

نقول أيضاً أن الخلاص "ليسَ بالأعمال." هذا ما تُؤَكِّدهُ كلمةُ الله مراراً وتكراراً. "لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ – خَلَّصَنَا" (تيطُس ٣:٥). وأيضاً "الَّذِي خَلَّصَنَا وَدَعَانَا دَعْوَةً مُقَدَّسَةً، لاَ بِمُقْتَضَى أَعْمَالِنَا، بَلْ بِمُقْتَضَى الْقَصْدِ وَالنِّعْمَةِ" (٢تيموثاوس ١:٩).

هذه المقاطع يجب أن تنفي بشكل قاطع كل ما يمكن أن يُسمى أعمالاً بشرية، بهدف الحصول على الخلاص، كمثل حفظ الوصايا العشر، وتطبيق القاعدة الذهبية، والانضمام إلى الكنيسة أو منظمة دينية، أو المشاركة في نشاطات اجتماعية أو دينية. كل الممارسات الدينية، كالصلوات والصوم وأعمال التوبة الكفارية ونكران الذات والمعمودية وأي اجتهادات أخرى يبذلها الإنسان لينال أو ليستحق الخلاص غير واردة. هذا لا يعني أن كل هذه الأشياء ليس لها قيمة في نظر الله، بل أنها لا تساهم شيئاً في نوال الخلاص ودخول الإنسان إلى حالة النعيم الأبدي مع الله.

وهي ليس حتى مسألة اجتناب الخطيئة. لأن هذا الأمر ينبغي على المخلَّ أو المبرَّر أن يفعله. "لا يمكن أن يكون الخلاص بالأعمال لأنه عندها لن يكون بالنعمة "فَإِنْ كَانَ بِالنِّعْمَةِ فَلَيْسَ بَعْدُ بِالأَعْمَالِ وَإِلاَّ فَلَيْسَتِ النِّعْمَةُ بَعْدُ نِعْمَةً. وَإِنْ كَانَ بِالأَعْمَالِ فَلَيْسَ بَعْدُ نِعْمَةً وَإِلاَّ فَالْعَمَلُ لاَ يَكُونُ بَعْدُ عَمَلاً" (رومية ٦:١١). "أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلاَ تُحْسَبُ لَهُ الأُجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ" (رومية ٤:٤).

لئلا يفتخر الإنسان

ليس الخلاص من الأعمال لئلا يفتخر الإنسان. هذا هو الحال لئلا يتمجد أي جسد في حضرة الله (١ كورنثوس ١: ٢٩). كم تظهر هذه الحقيقة تفاهة كل القصص التي تتحدث عن صعود الناس إلى البوابات المرصعة باللؤلؤ وسؤال القديس بطرس لهم عن الصلاح الذي عملوه كي يأذن لهم بالدخول. فهذا مكان لا يستطيع الإنسان أن يفخر فيه الإنسان بإنجازاته الشخصية.

عطيّة الله

الخلاص هو عطية الله. ويجب أن يكون عطية بالنعمة. ومن جديد يُستَبعد هنا أي دور أو أهلية للإنسان، لأن ما يُعطى على أساس الأهلية أو الصلاح ليس هبة وإنما مكافأة. وليس الخلاص أبداً ولا بأي معنى مكافأة من الله يعطيها لقاء السلوك الحسن. وهذا يعلّمنا من جديد أن الناس لا يدخلون السماء بسبب صلاح أو خير فعلوه.

بالإيمان

طالما أن الخلاص هو بالأعمال وهو عطية مجانية من الله وأنه ليس بأي حال من الأحوال بسبب أي أمر جيد أو أهل للكفاءة والتقدير يكون الإنسان قد طالما أن الخلاص هو بالأعمال وهو عطية مجانية من الله وأنه ليس بأي حال من الأحوال بسبب أي أمر جيد أو أهل للكفاءة والتقدير يكون الإنسان قد عمله، فمن الواضح إذاً أن دور الإنسان في الخلاص هو فقط أن يصنع ثقته على الله في إنجاز الخلاص، وأن يقبل ما يعطيه الله له مجاناً. وهذا بالضبط ما تعنيه الكلمات "بالإيمان".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الإيمان هو اعتبار الله كافياً ووافياً ليلبي كل حاجة وأنه قادر حتى على ما يبدو مستحيلاً تماماً. إن إبراهيم يُدعى أبو كل المؤمنين (رومية ٤: ١١). ويُقال عنه أنه عندما وعده الله بابن، رغم تناقض ذلك مع الشروط الطبيعية جميعاً، "لاَ بِعَدَمِ إِيمَانٍ ارْتَابَ فِي وَعْدِ اللهِ بَلْ تَقَوَّى بِالإِيمَانِ ... وَتَيَقَّنَ أَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ هُوَ قَادِرٌ أَنْ يَفْعَلَهُ أَيْضاً" (رومية ٤:٢٠، ٢١). فلم يرتكب إبراهيم الخطأ بجعل الظروف حائلاً بينه وبين الله بل بالحري عوّل على الله ليتغلب على ما كان يبدو له أمراً مستحيلاً بالكلية. وهذا هو معنى الإيمان. من هذا يبدو واضحاً أن الإيمان هو بعكس العقل البشري، لأن الأخير يأخذ بعين الاعتبار الظروف والاحتكام العقلي للإنسان بدلاً من الاتكال على أعمال الله اللا متناهي والكلّي القدرة وتلقي إلهاماته كما نجدها في الكتاب المقدس.

وهذا دليل أيضاً على أن الإيمان ليس بالأعمال، بل هو في الواقع التوقف عن العمل، لأن من يعول على الله ليقوم بما يعد به لا يعود متكلاً على ذاته للقيام بنفس الأمر. (انظر عبرانيين ٤: ٩، ١٠). إنه اعتراف من المرء بعجزه الذاتي عن العمل. وهذا دائماً عنصر إيمان.

وليس هناك فضل للإنسان في الإيمان. "هُوَ مِنَ الإِيمَانِ كَيْ يَكُونَ عَلَى سَبِيلِ النِّعْمَةِ" (رومية ٤:١٦). وإن كان هناك أدنى فضيلة في الإيمان فإنه لا يمكن أن يكون قناة تعمل النعمة من خلالها. يمكن أن يكون عميلاً وسيطاً للنعمة، كما رأينا، يستبعد بطبيعته استحقاق الإنسان إن الإيمان لا يقصي فقط فكرة الأهلية، بل يتضمن فعلياً فكرة العجز واليأس. بالإيمان يعتمد المرء على آخر لينجز ما لا يستطيع هو أن ينجزه بنفسه. فعندما يكون في العائلة طفل مريض وعلى وشك أن يفارق الحياة، نجد العائلة تستدعي طبيباً. بهذا الإجراء يقرّ الوالدان بعجزهما عن علاج مرض ابنهما ويعبّران عن ثقتهما بالطبيب. ليس لهم أية منّة في استدعاء الطبيب. وإن إيمانهما بالطبيب يجعلهما فقط يعطيان الطبيب الفرصة للعمل.

كيف يخلص الإنسان؟

الإيمان بالله يعني أن يسلم المرء ذاته له. في (يوحنا ٢: ٢٤) نجد القول بأن يسوع لم يأتمن اليهود على نفسه لأنه كان يعرف الجميع. الكلمة اليونانية التي تُرجمت هنا بـــ "يأتمن" تُرجمت أيضاً في (يوحنا ٣: ١٦) إلى "يؤمن أو يثق بـــ"، حيث يرد القول: "لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" ويمكن تصحيح قراءة الجملة هنا لصبح: "لكي لا يهلك كل من يأتمنه على نفسه بل ينال حياة أبدية".

يجدر بنا أن نؤكد على حقيقة أن الإيمان الذي يُخلِّصُ هو ليس إيماناً بعقيدة أو نظام ديني بل بشخص. إنه إيمان بذلك الشخص الذي يفي بوعده. قال يسوع: "إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي (الله الآب) فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يوحنا ٥:٢٤). الإيمان أيضاً هو بابن الله. "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنا ٣:١٦). وهو أيضاً على اسم ابن اللهِ. "وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللَّهِ أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ" (يوحنا ١:١٢). يرمز "اسمه" إلى كُلّ ما هو عليه وكُلّ ما فعلهُ ليفتدي الإنسان مِن عقوبة الخطيئة. فأن تؤمِنَ بالمسيح وعلى اسمِه يعني أن تتقبله على أنه المُرْسَل من الله، الذي جاء ليخلص الخطأة ويهب الحياة الأبدية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

فـالإيمان إذاً هو ليس الاعتقاد بالأشياء التي تخصّ المسيح، أي أنه شخص تاريخي، وأنه كان معلماً عظيماً أو رجلاً صالحاً أو حتى أنه جاء مخلصاً للعالم. يجب أن يكون هناك اعتماد شخصي عليه لنيل الخلاص – أي استسلام النفس له. لقد جاء إلى العالم ليس ليساعد الناس على إنقاذ أنفسهم. لقد جاء ليخلص الضال الهالك – ذاك الذي لا تنفع فيه مساعدة بشرية.

ومن جديد، فإن الإيمان ليس مجرد تصديق عقلي على الحقائق السابق ذكرها المتعلقة به وبعمله. إنها علاقة قلبية معه. "لأَنَّ الْقَلْبَ يُؤْمَنُ بِهِ لِلْبِرِّ وَالْفَمَ يُعْتَرَفُ بِهِ لِلْخَلاَصِ" (رومية ١٠:١٠). وإن كل اعتماد حقيقي على الله يجب أن يكون نابعاً من القلب.

لقد أعطى يسوع صورة توضيحية رائعة عما يعنيه الإيمان به. لقد قال لنيقوديموس: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يوحنّا ١٤:٣، ١٥). لقد أظهر الإسرائيليون في البرية إيمانهم بالنظر إلى الحية النحاسية التي كانت معلقة على الراية. (انظر سفر العدد ٢١: ٥ – ٩)[١].

بفعل الإيمان الوحيد هذا كانوا يعبّرون عن إقرارهم بالخطيئة وبعجزهم الكلي ويعترفون أن عناية الله كانت الأمل الوحيد لهم. ما كان الإسرائيلي يفهم معنى الحية، أو سبب صنعها من النحاس. ولم يكن يحلل إيمانه ليرى إذا ما كان قوياً كفاية أو أنه إيمان مستقيم. لم يطرح أسئلة عن مدى حدة أو كثافة النظرة التي سينظر بها إلى الحية النحاسية. وبالطبع لم يدّعي أي فضل له من جراء إلقائه النظر إليها. كان هناك شيئان وحسب في فكره: عجزه الذاتي المطلق وكفاءة عناية الله، موضوع إيمانه. وهذا كل ما هو مطلوب في الإيمان الذي يخلص به الهالك. ليس من قدرة في الإيمان يمكن أن تلعب دوراً في الخلاص. فالقدرة التي تخلّص تأتي من الله.

إيضاح آخر للإيمان نورده هنا قد يكون مفيداً: كان هناك مسافر ينطلق في رحلة عبر الأطلسي. في الليلة الأولى له هناك أفاق من نومه وأدرك في الحال أنه كان في عرض البحر بعيداً وأن الفاصل الوحيد بينه وبين الموت غرقاً هو السفينة. كان هذا الشعور مزعجاً مليئاً بالإحساس بالعجز. ففي اليوم السابق لبدء تلك الرحلة في السفينة كانت له ثقة كبيرة بالسفينة ولذلك أقدم على الرحلة. وفي تلك الساعة المظلمة من عتمة الليل أعاد طمأنة نفسه بجدارتها بالثقة وعاد إلى النوم. وهكذا فإن الخاطئ يعتمد على يسوع المسيح فيسلّم ذاته له كطريقة يأتي بها إلى الله، وهو يشعر بالارتياح مطمئن تماماً إلى إمكانية الثقة الكاملة به.

بما أن الإيمان هو اتكال على الله، فمن الواضح أن شرط الله على الإنسان لكي يخلص هو العودة إلى حالة الاتكال الكاملة على الله التي كان آدم يتمتع بها قبل أن أخطأ. ولكن بمعنى من المعاني يكون الإيمان أكثر من ذلك. فاتكال آدم الكلي على الله كان كمخلوق تجاه خالقه ومؤازره.

---

[١]– (عدد ٢١: ٥– ٩): "وَتَكَلمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ! لأَنَّهُ لا خُبْزَ وَلا مَاءَ وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ». فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الحَيَّاتِ المُحْرِقَةَ فَلدَغَتِ الشَّعْبَ فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيل. فَأَتَى الشَّعْبُ إِلى مُوسَى وَقَالُوا: «قَدْ أَخْطَأْنَا إِذْ تَكَلمْنَا عَلَى الرَّبِّ وَعَلَيْكَ فَصَلِّ إِلى الرَّبِّ لِيَرْفَعَ عَنَّا الحَيَّاتِ». فَصَلَى مُوسَى لأَجْلِ الشَّعْبِ. فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا». فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ فَكَانَ مَتَى لدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَاناً وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

وفي الخلاص، وإضافة إلى ذلك، اتكال كامل على تدبير الله بيسوع المسيح كرافع للخطيئة والنتائج الناجمة عنها ومانح لكل الأشياء التي تترافق مع الخلاص.

التوبة والاعتراف

هناك عنصران في الإيمان الذي يخلّص لابد من ذكرهما بالتحديد. ألا وهما التوبة والاعتراف. قد يوجد بعضٌ من الناس يعتقدون أن هذه ليست ضرورية للخلاص. ويؤكد آخرون على أهميتها لدرجة اعتبارها شروطاً تُضاف إلى الإيمان. ولكن الحقيقة أن كلا هذين الرأيين خطأ. فمن المستحيل أن يؤمن الإنسان بيسوع المسيح مخلصاً شخصياً له دون أن يندم على خطيئته ويعترف بأنه خاطئ.

أن يتوب الخاطئ عن الخطيئة يعني بالنسبة له أن يغيّر فكره فيما يتعلق بالخطيئة ولا يمكن أن يكون هناك اتكال على الله ليخلص من دون هذا التحول في الفكر. وطالما أن المرء لا يجد عيباً في الخطيئة بل يجد فيها متعة ويرغب أن يبقى مستقلاً تماماً عن الله وعن يسوع المسيح ابنه فإنه ليس لديه رغبة في الخلاص. وجزء من الاتكال على الله من أجل الخلاص هو اعتباره الخطيئة أمراً رهيباً مريعاً في الواقع. وهذا سيُعتَبَر عصياناً ضد الله، لأنه يناقض قداسته ولأنه يشكل عداوة تجاهه وفوق كل ذلك فإنه يفصله عن الله. وينشأ لديه إحساس حقيقي بمواجهة الخطيئة. وبدون هكذا خبرة يشكّ المرء في حقيقة الإيمان بالمخلص.

إن التأكيد على موضوع التوبة بمعنى وجود فكرة الندم أو فرض تغيير السلوك نحو الله والإنسان، هو كمثل فرض أعمال التوبة التي كان يوحنا المعمدان يعظ بها الشعب اليهودي (لوقا ٣: ٧ – ١٤) أو كفعل توبة كفاري، وهذا إنما يضيف عنصر الأعمال الصالحة أو الأحقية البشرية للإيمان. وهذا يجعل الإيمان فارغاً لأنه من غير الممكن أن يتكل الإنسان كليّة على الله في حين أنه يحاول أن يقدم مساهمة ما، مهما كانت صغيرة، اعتماداً على ذاته.

والأمر سيّان في موضوع الاعتراف. فمن المستحيل قبول يسوع المسيح أو الاعتراف به كمخلص من عقوبة الخطيئة بدون الاعتراف بأن المرء خاطئ وعاجز تماماً عن القيام بأي عمل لمعالجة هذه الحالة.

إن من يعتبر نفسه باراً لا يحتاج إلى مخلص، بل إن البر الذاتي يشكّل عائقاً أمام خلاصه. لم يستطع الفريسيون في عصر بولس أن يخلصوا لأنهم كانوا يعتمدون على برّهم الذاتي (رومية ١٠: ١ – ٣). "يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ" (١تيموثاوس ١:١٥). فالمسيح مات عن الخطاة (رومية ٥: ٨). وبقبول الخلاص وحسب يستطيع الخاطئ أن يخلص.

أن يعترف الإنسان بأنه خاطئ يختلف عن اعترافه بخطاياه. فهو أكثر جذرية واحتقاراً للذات. فمن الممكن أن يعترف المرء بخطايا كثيرة ويبقى على ادعائه بأهليته كإنسان. أن يعترف الإنسان لله بأنه خاطئ يعني إقصاء كل الجدارة أو الاستحقاق الإنساني. وعلاوة على ذلك فمن غير الممكن لأي أحد أن يعترف بجميع خطاياه. لأنه يكون قد نسي خطايا كثيرة وهناك خطايا لم يعرف بها أصلاً. والاعتراف بجزء من الخطايا يجب غفرانها حتى ينال المرء الخلاص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

هناك أهمية لاعتراف الفرد بأعمال الخطيئة، ولكن هذه تكون للمؤمن الذي ارتكب خطيئة ويطلب المغفرة (انظر ١ يوحنا ١: ٩).

إن أي تركيز على موضوع التوبة أو الاعتراف لإعطائه طبيعة الاستحقاق للإنسان هي أمر ثانوي بالنسبة للإيمان ويجب إقصاؤه لأنها تصبح عندئذ من الأعمال، والأعمال، كما رأينا، ليس لها دور في الخلاص.

لقد قلنا توّاً، ونكرر القول، أن الفارق الكبير بين المسيحية وكل الأديان في العالم هو أن الله يقدم الخلاص عطية مجانية بدافع محبته اللا متناهية لكل من يشاء، ولكن تلقيه هو بمجرد الاعتراف من قبل الشخص بحاجته إليه وبقبوله، أو القول بذلك، في حين نجد أن كل ديانة عدا المسيحية تتطلب عملاً ما من جانب الإنسان للحصول على رضى الله. وهذه ليست المسيحية، وطالما أنها تشترط الاستحقاق البشري، فإنها تنكر عرض الله بالخلاص بالنعمة بالإيمان.

تقول كلمة الله أن الخلاص هو بالنعمة (فضل الله الذي لا يتطلب أهلية)، وأنه يتم نواله بالإيمان (الاتكال على الله)، وأنه ليس من الإنسان في شيء، بل هو عطية الله، وهو ليس من الأعمال، لاستبعاد الافتخار بسبب الاستحقاق البشري. ولذلك فإن الإنسان لا يستطيع أن يفعل شيئاً بل أن يقبله بتواضع من الله. إن كل محاولة من جهة الإنسان لنيل الخلاص بأي طريقة كانت هو أمر يهين الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل السادس عشر

يقيـــــن الخـــــلاص

يمر عدد كبير من المسيحيين في الحياة بدون أي يقين فيما يتعلق بخلاصهم فلا يعرفون هل هم مُخَلَّصُون أم لا. ويعتقد كثيرون بفكرة أن المرء لا يمكن أن يكون متأكداً من ناحية هذه المسألة. وآخرون كثيرون غيرهم، وفي حين أنهم لا يشكّون على الإطلاق بحقيقة خلاصهم، إلا أنهم ليسوا متأكدين مما إذا كانوا سيحفظون في مأمن من الانفصال الأخير عن الله أو في منأى عن دينونته بسبب الخطيئة.

نقص اليقين بالنسبة للمستقبل يعود، في جلّه، نعم ولدرجة كبيرة، إلى العوز الاقتصادي في العالم. إن التأمين له قيمة لا تُقدّر بثمن في كل جوانب حياة الإنسان. والأمر نفسه نجده في الحياة الروحية للمخلّصين أيضاً، إذ أن له دوراً بارزاً. لحسن الحظ، إن عمل الله لم يترك الإنسان في الظلمة من ناحية هذه التصفية الهامة.

كيف يكون المرء متيقّناً من خلاصه؟

إن كل الشكوك والريبة فيما إذا كان المرء قد خلص أو لا مردّها إلى أحد ثلاثة أسباب. فقد يكون بسبب ميل الإنسان ليأخذ مشاعره الشخصية بعين الاعتبار. وفي حين أن للعواطف مكانة هامة في حياة من يخلص، إلا أنه ليس لها علاقة بحقيقة الخلاص. وقد تكون الريبة أيضاً متأتّية من شعور المرء أنه ليس صالحاً بما فيه الكفاية ليخلص. ولكن الخلاص لا يستند إلى صلاح الإنسان. بل يعتمد على صلاح ومحبة الله وقبول الإنسان لذلك. وأخيراً قد ينشأ الشك من التفكير العقلي للإنسان بموضوع الخلاص. فعندما يبدأ الإنسان بالتفكير بعقله في هذه الأمور، فإنه يصبح خارج نطاق الإيمان. وبينما الإيمان هو شرط الله الوحيد الذي يطلبه من الإنسان لكي يخلص فلابد أن ينشأ ارتياب عندما تحلّ الشكوك، بسبب العقل، محل الإيمان البسيط.

عندما يَعِدُ إنسانٌ ما معروفٌ بأنه موضع ثقة بأنه سيفعل شيئاً ما، فإن كلمته تُقبَل ويسلك معه الناس وهم على يقين كامل بأنه سينفذ ما وعد به. والله معروف بمصداقيته. فهو لا يكذب (تيطس ١: ٢). "لَيْسَ اللهُ إِنْسَاناً فَيَكْذِبَ وَلا ابْنَ إِنْسَانٍ فَيَنْدَمَ. هَلْ يَقُولُ وَلا يَفْعَلُ؟ أَوْ يَتَكَلَّمُ وَلا يَفِي؟" (سِفْرُ العدد ٢٣:١٩). ولذلك فإن ما يقوله الله بكلمته يمكن قبوله دون أدنى تردد من جهة الإنسان. فكلمة الله تكون دائماً بلا شك على أساس المعرفة بالخلاص. وفي حديثه عن الخلاص يستخدم الله نفس التعابير المحددة والواضحة التي لا تحتاج إلى تفسير، بل إنها نوع من إعادة التأكيد في بعض الأحيان لأن أفكار الإنسان وتصوّراته المُسبقة تشوّش وضوحها.

إحدى أهم العبارات الأكثر تحديداً أو المتعلقة بامتلاك الإنسان حالياً للخلاص تأتي على شفاه يسوع. فقد قال: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يوحَنَّا ٥:٢٤). لاحظ أن العبارة تبدأ بكلمة "الحق" التي يكررها مرتين وكأنه من الضروري التركيز بقوة على ما سيلي ذلك في العبارة، وذلك بسبب بطء الإنسان إلى الاستقرار على يقين وهذا حقيقي. وإذاً، في الكلمات: "أقول"

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

يعلن يسوع عن رأيه الشخصي مستنداً إلى السلطة التي يتحدث بها. والعبارات التالية يجب أن تكون مقبولة بشكل أكيد لأنها كلمة الله المباشرة، وهي حقيقية. الشك في هذه الأقوال يعني الشك في مصداقية ابن الله.

وعن كل من يؤمن، قال يسوع أن له حياة أبدية. ولم يقل أنه قد ينال حياة أبدية أو ربما ينالها في وقت ما في المستقبل بعد الموت. إنه ملكية حالية في يد كل من يؤمن. بما أن هذه الحياة أبدية فإنها لا يمكن أن تموت. وهي ليست فانية كمثل الحياة الجسدية المادية. ومن غير الممكن الآن أن نحصل على حياة أبدية من دون أن نخلص من الآن وإلى الأبد. هذا القول لوحده يجب أن يفي بالغرض، إلا أن هناك قولاً آخر يعقبه. فمن يؤمن لن يأتي إلى دينونة. ودينونة خطاياه قد أُلقيَت على يسوع على الصليب. ومن هنا فإنه لن تكون هناك دينونة في انتظار المؤمن. ومن لن يأتي إلى دينونة لابد أن يكون قد خلص بل وخلص الآن. هناك أيضاً عبارة ثالثة تعلن عن الحالة الحاضرة للمخلَّص الذي يؤمن. فقد اجتاز من الموت إلى الحياة. وهذا يعني أنه اجتاز من حالة الهلاك (الموت) إلى حالة الخلاص (الحياة). إنها حقيقة مُنجَزة.

على ضوء هذه الأقوال الثلاثة، التي يشهد على صحتها ابن الله نفسه، نرى أنه لا يمكن أن يوجد أي شك أبداً فيما يتعلق بالخلاص الحالي لكل من يؤمن. والسؤال الوحيد الذي أعتقد شخصياً أنه قد يثير الريبة هو: هل أنا آمنتُ؟ أن تؤمن يعني، كما في الفصل الخامس عشر، يعني الاعتماد على الله والاتكال عليه ليفعل ما وعد به. إنه الاتكال على يسوع المسيح ككفارة عن خطايا المرء الذاتية كما شرحنا في الفصل السابع ويتضمن تغيير الفكر تجاه الخطيئة واعتراف المرء أنه خاطئ ويحتاج إلى الخلاص. إنه في الواقع مسألة شخصية بين الله والمؤمن. وبالتأكيد ما من أحد يمكن أن يسأل فيما إذا كان يؤمن أو لا.

هل يضمن المرء أن يبقى في حالة الخلاص

إن المقطع السابق ليس فقط يقدم توكيداً بالنسبة للخلاص الحاضر. بل إنه أيضاً يؤكد أن من يؤمن لا يمكن أن يخفق في المستقبل في خلاصه. فمن تلقى الحياة الأبدية لا يمكن أن يموت روحياً ويهلك. ومن لا يأتي إلى دينونة لا يمكن أن يهلك لأنه بالدينونة يُعلن انفصال الهالك عن الله إلى الأبد. وإن من اجتاز من الموت إلى الحياة قد اجتاز من سلطة الشيطان (انظر الفصل الخامس) إلى ملكوت ابن الله وذلك الملكوت هو حالة نهائية لا تزعزع فيها (أفسس ١: ١٣). وهي غير قابلة للتغيير.

برؤية عظمة الخلاص لا حظنا أنه لا يمكن قياسه بأي من المقاييس التي تنطبق مع الله اللامتناهي. فإن كان الذي يخلص يمكن أن يهلك فهذا لا يمكن أن يكون صحيحاً بسبب فترة محدودة للخلاص. إذا بقي المرء مخلصاً لبضع سنوات وحسب، فإن هذا الخلاص إنما هو عمل مؤقت. ولكن الله يقول أنه أبدي (عبرانيين ٥: ٩).

إن كل الأمور التي يعملها الله في خلاص الإنسان لها طبيعة لا تقبل إمكانية الفشل في أي مرحلة ولا بأي مجال. إن تحرير الإنسان من عقوبة الناموس كان بدم يسوع المسيح الذي لا فساد فيه. ثمن الفداء هذا لا يمكن أن يخسر قيمته. إنه يضمن فداء أبدياً (عبرانيين ٩: ١٢). من افتُدي لا يمكن أن يصبح ثانية مذنباً تحت الناموس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن التبرير هو بنسب الله برّ يسوع اللامتناهي لذاك الذي يؤمن. ولا يمكن أن يكون هناك أي ثغرة أو عيب في ذلك البرّ. ولقد صار هذا ممكناً لأن خطايا الإنسان أُدخِلت في حساب يسوع المسيح ودفع الثمن بنفسه لأجلها. وبما أن كل مطالب عدالة الله قد تحققت فإنه لا يمكن أن يُتهم الشخص الذي تبرّر بأية تهمة.

عندما تم إرضاء عدالة الله فما من شيء آخر مهما يكن كان ليمكن أن يحدّ من عمل محبته. فكل الذين افتُديوا، وتبرروا، وصُولحوا مع الله صاروا خاضعين بلا تبدّل لنعمته التي هي التعبير الكامل عن محبته اللامتناهية. إنهم هدف قدرة الله اللامحدودة، وهي نفس القدرة التي استخدمها الله في إقامة يسوع من الموت وجعله إياه فوق كل شيء في الكون.

بالتجدّد يولد الإنسان إلى ملكوت الله بشكل حقيقي يشبه الولادة الطبيعية التي يولد بها الإنسان إلى الجنس البشري. هذه الحياة الروحية التي تُولد من الله (يوحنا ١: ١٣) تتشرب بالطبيعة الإلهية ولذلك من المحال أن تخطئ (١ يوحنا ٣: ٩). فالخطيئة هي التي فصلت الإنسان عن الله. وبسبب حياته الروحية لا يمكنه أن يخطئ، وهذه لا يمكن فصلها عن الله.

من يولد ثانية هو خليقة جديدة شرعتها الثابتة هي "النعمة تحكم بالبرّ إلى الحياة الأبدية بيسوع المسيح".

كل من يتصالحون مع الله بموت ابنه سيخلصون في الحياة الحاضرة في السماء حيث يحيا إلى الأبد ليشفع لأجلهم.

وبما أن الخلاص هو من الله حصرياً، لأنه بالنعمة ولذلك لم يأتِ عن استحقاق بشري، فإن الإنسان المعرَّض للسقوط لا يمكنه أن يساهم في شيء لأجل خلاصه الذاتي، ولا مجال أبداً للإخفاق هنا.

إن خلاص من يؤمن بيسوع المسيح أكيد وثابت مستمر كالله نفسه[١].

هناك مقاطع كثيرة في الكتاب المقدس تعلن يقين الخلاص ولكن سنكتفي باقتباس مقطع واحد هنا: "خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي وَأَنَا أَعْرِفُهَا فَتَتْبَعُنِي. وَأَنَا أُعْطِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً وَلَنْ تَهْلِكَ إِلَى الأَبَدِ وَلاَ يَخْطَفُهَا أَحَدٌ مِنْ يَدِي. أَبِي الَّذِي أَعْطَانِي إِيَّاهَا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُلِّ وَلاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطَفَ مِنْ يَدِ أَبِي" (يوحَنَّا ١٠:٢٧-٢٩). ونظراً إلى كل ذلك، هل من حاجة لأن يشكّ أحد في خلاصه وفيما إذا كان قد خلص إلى كل الأبدية أم لا؟

[١]- هناك دراسة شاملة مخصّصة عن يقين خلاص المؤمن تجدونها في كتاب "لكي لا يهلك" لنفس المؤلف.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل السابع عشر

لماذا يهتم الله بخلاص الإنسان؟

عندما يفكر المرء ببشاعة خطيئة الإنسان تجاه الله وقدرة الله الكلّية التي تشتمل على القدرة على خلق كائن آخر يحل محل الإنسان، إذا ما دمّرته دينونة الإنسان وعند ذلك، وهنا يُطرح السؤال التالي والذي يحتاج إلى إجابة. ألا وهو: لماذا يخلّص الله الإنسان.

لكي لا يهلك الإنسان

أول إجابة على هذا السؤال نجدها في (يوحنا ٣: ١٦): "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ". فهدف الله هنا يتركّز على الإنسان. فالله يعرف، كما لا يعرف أي أحد آخر، بشاعة الدمار الأبدي في ابتعاد الإنسان عن حضرة الله وعن مجد قدرته (٢ تسالونيكي ١: ٩) الذي سيكون فيه الكثيرون ممن لم يخلصوا. إن محبته، والتي كلفت دفع ابنه الوحيد ثمناً، تحفظ المخلوق من هذه العقوبة مع أنه صار عدواً لله بالخطيئة. أهمية إنقاذ الإنسان من الهلاك عظيمة جداً حتى أن إدراكنا لهذا الجانب من الأبدية يبقى ضئيلاً جداً.

لأعمال صالحة

يقول البعض باستخفاف وعن خطأ أن الخلاص بالنسبة لهم هو أكثر من "وسيلة نجاة من الجحيم". إن أهميته بالنسبة لهم هي من أجل الحياة الحاضرة. صحيح أن أحد أهداف الله في إنقاذه للإنسان يتعلق بحياة الإنسان على الأرض، ولكن القيم الأبدية للخلاص تفوق للغاية أية فوائد مؤقتة زائلة لأن اللامحدود أعظم من المحدود. وإضافة إلى ذلك، فإن هدف الله بالنسبة للحياة الأرضية للشخص الذي ينال الخلاص هي ذات قيم أبدية تنشأ من ذلك. وإلى جانب القول بأن الخلاص هو بالنعمة وليس من الأعمال نقول أيضاً أن الأمر على هذا النحو لأنه قد تكون هناك أعمال صالحة عند أولئك الذين يخلصون. "لأَنَّنَا نَحْنُ عَمَلُهُ، مَخْلُوقِينَ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ، قَدْ سَبَقَ اللهُ فَأَعَدَّهَا لِكَيْ نَسْلُكَ فِيهَا" (أفسس ٢:١٠). إن الله لا يخلّص الإنسان بسبب أعمال الإنسان الصالحة. ولا يخلّص الله الإنسان أيضاً ويحرره من العالم الشرير ومن سلطان الظلام، لكي يستمر الإنسان بالمقابل في حياة الخطيئة كما في السابق. في حين أن أهداف الله من الخلاص أبدية، إلا أن الطبيعة الجديدة التي تُعطى لمن يخلص تنعكس بالضرورة على الوجود الأرضي الحالي للإنسان. يقول بولس: "نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟" (رومية ٢:٦). ويكتب إلى تيطس قائلاً: "أُرِيدُ أَنْ تُقَرِّرَ هَذِهِ الأُمُورَ، لِكَيْ يَهْتَمَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ أَنْ يُمَارِسُوا أَعْمَالاً حَسَنَةً. فَإِنَّ هَذِهِ الأُمُورَ هِيَ الْحَسَنَةُ وَالنَّافِعَةُ لِلنَّاسِ." (تيطُس ٣:٨). لقد كان تيطس يؤكد بشكل متواصل على أن الأعمال الحسنة يجب الحفاظ عليها. وبالتأكيد فإن هدف الله لحياة كل من يخلص هو أن يمارسوا أعمالاً حسنة. وحتى إن نعمته تتضاعف أكثر نحو المخلصين لكي "تَكُونُوا وَلَكُمْ كُلُّ اكْتِفَاءٍ كُلَّ حِينٍ فِي كُلِّ شَيْءٍ، تَزْدَادُونَ فِي كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢كورنثوس ٩:٨).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من الضروري أن ندرك تماماً الدافع وراء الأعمال الحسنة. فقبل كل شيء هناك أشخاص معينين يستطيعون أن يصنعوا أعمالاً حسنة. وهم أولئك "المخلوقين في المسيح يسوع" للقيام بذلك. والمخلصون فقط هم الذين يستطيعون أن يقوموا بأعمال يقبلها الله ويعتبرها حسنة.

ونقول من جديد أنه ليست كل الأعمال التي يقوم بها المخلَّصون هي "أعمال حسنة". و"الأعمال الحسنة" عند المخلَّصين "قد أُعِدّت مسبقاً لكي نسلك فيها". وتلك التي أعدّها الله مسبقاً لا بد أنها بحسب مشيئته وهدفه. ولذلك فإن الكثير من الأعمال التي تبدو حسنة في الظاهر عند المخلّصين الذين خططوا لها وقاموا بها بإدارة ذاتية لا تأتي في خانة ما يُسمى "الأعمال الصالحة" بالنسبة لله.

ومن الواضح أن هذه الأعمال، ولكي تكون حسنة، يجب أن يكون لمجد الله وليس لمجد الإنسان. "...كل شيءٍ تفعلونَه، افْعَلُوه لِمَجْدِ اللهِ" (١كورنثوس ١٠:٣١). "وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ" (كولوسي ٣:١٧).

إن الكثير من الأعمال الخيرية الاجتماعية في الوقت الحاضر التي تتبع غالباً من مشاعر تعاطف وحنو عميقة ويتم تنفيذها بالمزيد من التفاني ويمكن أن تُعَدّ أعمالاً حسنة في نظر الله لأن الله متروك خارجاً فيها. فمن يعملها ليسوا أناساً مخلَّصين. فهذه الأعمال لم "يسبق الله فأعدها" والهدف منها هو ليس مجد الله. ولا يمكن نكران أن هذه الأعمال لها قيمة كبيرة، ولكن هذه القيمة زائلة وليس لها علاقة بعمل الله الخلاصي الذي يشتمل على قيم أبدية.

عندما يتم القيام بعمل اجتماعي (إن تم ذلك)، كوسيلة ليس فقط لتقديم المساعدة الآنية المؤقتة للمحتاجين بل أيضاً من أجل المعونة الروحية والأبدية عبر الخلاص، فعندئذ تصبح هذه الأعمال "أعمالاً حسنة" بحسب هدف الله من الخلاص.

إن الأعمال الصالحة تكون حسنة إذا كان لها دور في تنفيذ برنامج الله الكلي في الخلاص، ولا تكون في حد ذاتها الهدف النهائي. بل إنها حلقة في سلسلة من الأشياء التي تبلغ أوجها في تسبيح مجد الله.

لمجد نعمته

لو أن الله كان يضع في فكره أن مسألة الخلاص من الانفصال الأبدي عنه تُحلّ بالأعمال الصالحة، إذاً لكان عمله الخلاصي قد توقف قبل شوط طويل مما وصل إليه. فكان يكفي لذلك استعادة حالة آدم الأصلية عندما كان في جنّة عدن. ولأمكنه عندئذ أن يعيش في نعيم أبدي وعلاقة مودة وصداقة مع الله وأن يقوم بالأعمال الصالحة. ولكن كما قلنا، لا يكتفي فقط بإعادة الإنسان إلى حالة آدم الأصلية. وبالتالي لا بد أنه كان لدى الله هدف آخر وأعظم بكثير من ذلك كي يخلّص الإنسان. والواقع هكذا فعلاً.

فبما أن محبة الله جعلته يخلص الإنسان لذا فإن هذا يوحي بأن الله وجد في الخلاص طريقة ليعبّر للإنسان عن محبته. وفي صلاة يسوع إلى أبيه قال: "وَأَنَا قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا أَنَّنَا نَحْنُ وَاحِدٌ ... وَلِيَعْلَمَ الْعَالَمُ أَنَّكَ ... أَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي" (يوحنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

٢٢:١٧، ٢٣). هذا الدور الذي قام به الله في الخلاص الذي به يُعطى مجد المسيح لأولئك الذين يقبلونه يمكن القول عنه بشكل معبّر بليغ على أنه تجلّي لمحبة الله لهم.

فـي (أفسس ٢: ٧) نتعلم أن الخلاص هو "لِيُظْهِرَ (الله) فِي الدُّهُورِ الآتِيَةِ غِنَى نِعْمَتِهِ الْفَائِقَ بِاللُّطْفِ عَلَيْنَا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.". وفي (أفسس ١: ٥، ٦) نجد أن المخلَّصين قد قُدِّر لهم "... لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةِ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ".

"اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ" (المزمور ١:١٩). هذا المجد هو مجد قدرته الخلاقة. فعندما اكتمل عمل الله الخلاصي وجُعِلَ الذين خلصوا في هذا الدهر في حالة اتحاد مع الله فعندئذ سيكون هناك تسبيح، ليس فقط لمجد نعمته. وهذه أعلى قمة في مجد الله، وإنجاز ذلك هو أعظم سبب جعل الله يخلّص الإنسان في هذا الدهر.

لقد رفض لوسيفوروس، بارتكابه الخطيئة، الاعتراف لله بالمجد الذي يستحقه. وكذلك فعل آدم أيضاً وكل الجنس البشري، بسبب الخطيئة، إذ لم يمجدوا الله كإله. وبإنقاذه للبشر، مخلوقه الضال الهالك المتمرد، فإن الله يفعل ذلك، ليس فقط ليستعيد المجد الضائع الواجب له كخالق، بل لينال مجداً أعظم بكثير، ألا وهو مجد الفادي والمخلص.

إن كان للإنسان أن يساهم بأدنى دور في الخلاص، فإن تسبيح مجد نعمة الله سيقل بهذا المقدار. ما كان ليمكن أن يُسبّح بمقدار مساهمة الإنسان في الخلاص. إن مجد نعمته يجب أن يكون مطلقاً. ولا يمكن أن يشوّه. فالله اللا متناهي لا يمكن أن يكون متناهياً إذا انتقص مجده بمقدار ذرة.

ولذلك فإن أهلية الإنسان وأعماله كدور مساهم في الخلاص أمر مستبعد. ولذلك لا يتمجّد جسدٌ في حضوره (١ كورنثوس ١: ٢٩)، وهذا هو السبب في أن المبدأ الأساسي في الخلاص هو بالنعمة بالإيمان.

بالخلاص لا ينقذ الله أمراً صالحاً في الإنسان. فهو يتناول خاطئاً هالكاً بالكلّية ومُداناً، ويقيمه، بمعزل عن أي أحقيّة لديه، ويرفعه إلى مستواه الإلهي ومجده، وذلك لُصار وفي النهاية إلى تسبيح مجد نعمته.

من هذا المنظار فقط، بأن هدف الله العظيم في الخلاص هو تسبيح مجد نعمته، يصبح ممكناً أن نفهم السبب الذي يجعل الله لا يدمر الإنسان (المتمرد ضده والذي حاول أن يجعل نفسه مثل الله) بل، بالحري، يحوّله إلى الحالة الرفيعة المجيدة ذاتها التي كان يسعى بتمرده أن يكتسبها. ليس من تجلٍّ أعظم من هذا للنعمة. فما كان لشيء أن يستدعي تسبيح مجد نعمة الله أكثر من هذا العمل. وفي هذا نجد أيضاً سبباً من الأسباب التي جعلت الله يسمح للإنسان بأن يخطئ.

"يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الِاسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيراً؟ أَوْ مَنْ سَبَقَ فَأَعْطَاهُ فَيُكَافَأَ؟». لأَنَّ مِنْهُ وَبِهِ وَلَهُ كُلَّ الأَشْيَاءِ. لَهُ الْمَجْدُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ." (رومية ١١:٣٣-٣٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل الثامن عشر

الخلاص وعلاقته بسلوك الإنسان

في حين أنه من الأهمية بمكان أن ندرك أن الله لا يقول أي شيء على الإطلاق لغير المخلَّصين عن مسألة السلوك، وأن الله يقدم الخلاص هبة مجانية بمعزل عن موضوع السلوك، فإن هذا لا يفترض أن هناك لا مبالاة بهذا الأمر من جهة أولئك المخلصين. فالله لا يحاول أن يحسّن أو يقوّم غير المخلص لأنه، ومهما تحسن ذلك الشخص، فإنه يبقى غير قادر على الارتقاء إلى مستوى مطلب الله في البرّ والذي به يضمن وقوفاً أمام الله كبارّ. وسبب آخر لعدم حثّ الله لغير المخلّص على تحسين سلوكه هو أنه ليست فيه أية قوة أو قدرة تساعده ليحيا الحياة بحسب معايير الله لأولئك الذين يخلصون. ولذلك فإن موضوع السلوك المسيحي لا يجب أخذه بالاعتبار فيما يتعلق بالخلاص. فإن فعلنا ذلك إنما نشوّه الموضوع. بعد أن يكون الشخص قد قبل يسوع المسيح مخلِّصاً، وعندئذ فقط، يطلب الله من ذلك الإنسان سلوكاً معيّناً عليه اتباعه خلال حياته على الأرض.

بالخلاص يعطي الله للإنسان موقفاً جديداً أمامه. وقبل أن يخلص الإنسان فإن وقوفه أمام الله يكون (خاطئ بالطبيعة وبسبب ارتكابه للخطيئة) ويكون تحت دينونة الموت وبعد أن يخلص، يقف أمام الله استناداً إلى فضل يسوع المسيح نفسه وحسب. إنه وَلَدٌ لله لأنه وُلِدَ ثانية، ويعتبره الله هكذا في كل لحظة. إنه عضو في عائلة الله. فهو يُلبَس برّ الله نفسه وما من تهمة يمكن أن تطاله وتغيّر تلك الحالة. إنه أمام الله كمُتلقٍّ لمحبته التي لا تحوّل فيها وملء نعمته. هذه المكانة أمام الله ينالها الشخص في اللحظة التي يؤمن فيها أو يتقبّل يسوع المسيح مخلصاً. ولأنها تعتمد فقط على الأهلية بالمسيح، فإن الحالة تكون نفسها على السواء بالنسبة للمسيحي الأكثر تعثّراً وإخفاقاً وأيضاً للمسيحي الأكثر قداسة وتقوىً وورعاً.

نعرف أنه من الممكن لأي إنسان أن يقف هكذا أمام الله فقط من خلال كشف ذلك لنا بكلمة الله. وهذا لا يعرفه المرء أبداً من خلال خبرته الشخصية بل بسبب المعرفة به يخلص الإنسان ويدخل إلى خبرات غنية. أن يبقى الإنسان على هذا الموقف المثالي أمام الله هو أساس مطلب الله الدائم للمخلَّصين من ناحية السلوك. إذ يُنصحون بأن يعيشوا حياتهم الأرضية في انسجام مع مكانتهم تلك وبما صاروا عليه في حالة الخلاص تلك.

وفيما يلي مثال يوضّح تلك الحالة. فالأولاد الذين يولدون إلى عائلة ملكية ما يتم تعليمهم وتدريبهم وتحريضهم على السلوك كأبناء طبقة ملكية حاكمة بالولادة. ويتشرّف الملك ويفتخر بهم فقط عندما يسلكون على هذا النحو. وهناك أشياء كثيرة لا يستطيعون القيام بها رغم أنها ليست محظورة على أولاد آخرين. من ناحية أخرى، إن أولاد الشوارع المتشردون في الجانب الشرقي القصي من نيويورك لا يمكن أن يُطلب منهم أن يسلكوا في حياتهم كأبناء الملك لأنهم لا يتمتعون بتلك المنزلة.

إن كل الكتابات الواردة في الكتاب المقدس والموجهة إلى المؤمنين من هذا الدهر نجد فيها هذه الأمانة لهذا المبدأ. فمقابل كل هبة من هبات النعمة هناك مطالبة بحياة تتوافق مع تلك العطية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

من غير الطبيعي أو العادي بالنسبة لأولئك الذين تحرروا من سلطان الظلمة وتحولوا إلى ملكوت ابن الله أن يستمروا بالعيش بنفس الممارسات التي كانوا يتبعونها في حالتهم السابقة. ولذلك فإنهم مُطالبون بأمرٍ معين: "لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ قَبْلاً ظُلْمَةً وَأَمَّا الآنَ فَنُورٌ فِي الرَّبِّ. اسْلُكُوا كَأَوْلاَدِ نُورٍ. وَلاَ تَشْتَرِكُوا فِي أَعْمَالِ الظُّلْمَةِ غَيْرِ الْمُثْمِرَةِ بَلْ بِالْحَرِيِّ وَبِّخُوهَا" (أفسس ٥:٨، ١١).

إن كل من خلصوا تحرروا من عقوبة الناموس بدفع ثمن فدية الذي كان بدم يسوع المسيح. ومن هنا المطالبة بحياة قداسة كما نقرأ: "لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١كورنثوس ٦:٢٠).

وبينما يعجز الفكر البشري عن فهم بذل الله ابنه الوحيد بالموت ليعتق الإنسان من عقوبة الموت التي يفرضها الناموس، والذي يمكن تفسيره فقط على أساس المحبة، فإن الأمر المعقول أكثر فيما يتعلق بالشخص الذي تحرر على هذا النحو وأعطي مكانة أبدية مع الله، والمنطقي أكثر هو أن يعيش ذاك الشخص أيامه على الأرض بطريقة يتمجد بها الله فيها. وهذا ليس أمراً إلزامياً إجبارياً بل يقتضيه ما فعله الله بدافع المحبة.

يقول بولس في رسالته التي كتبها إلى المسيحيين في رومية، ما ينطبق أيضاً على كل المسيحيين حالياً أن: "أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هَذَا الدَّهْرَ بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ" (رومية ١٢:١، ٢). ولم يكن هذا بالأمر السهل. وإن معقوليته هي بسبب "مراحم الله". ما هي مراحم الله تلك؟ إنها كل ما يتعلق بالتبرير بنعمة الله بالفداء الذي في المسيح يسوع لأنه جُعِل كفارة عن الخطيئة (رومية ٣: ٢٤ – ٢٦). وبالتأكيد إن من غُفِرَت كل خطاياه والذي نسب الله له مجاناً كل البر الإلهي بسبب موت ابنه لإرضاء عدالته، عليه أن يقدم ذاته إلى الله، وأن يتخلى عن الاهتمامات الدنيوية، وأن يسعى للعيش بحسب إرادة الله.

في المصالحة، الشخص المخلَّص، الذي كان بعيداً عن الله، يُجعَل مقرباً إلى الله. ولكن كثيرين ممن تصالحوا مع الله لا يعيشون على اتصال وثيق به. وليس فضلاً لهم أن يفعلوا ذلك، فهم مدعوون لأن "... لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ الإِيمَانِ، ... لِنَتَمَسَّكْ بِإِقْرَارِ الرَّجَاءِ رَاسِخاً، ... وَلْنُلاَحِظْ بَعْضُنَا بَعْضاً لِلتَّحْرِيضِ عَلَى الْمَحَبَّةِ وَالأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ " (العبرانيين ١٠:٢٢-٢٤).

إن من يُولد ثانية إنما من الروح القدس يُولد، وروح الله يسكن فيه. وبسبب هذا الوضع يكتب بولس إلى المسيحيين في كورنثوس قائلاً: "أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ ...؟ ... فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ" (١كورنثوس ٦:١٩، ٢٠).

من يُولد ثانية هو خليقة جديدة في المسيح (٢ كورنثوس ٥: ١٧). وبسبب ذلك فإنه مُطالب بأن: "تَخْلَعُوا مِنْ جِهَةِ التَّصَرُّفِ السَّابِقِ الإِنْسَانَ الْعَتِيقَ الْفَاسِدَ بِحَسَبِ شَهَوَاتِ الْغُرُورِ، وَتَلْبَسُوا الإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقَدَاسَةِ الْحَقِّ " (أفسس ٤:٢٢، ٢٤).

رغم عدم إدراك البعض تماماً لذلك، فإن كل أولاد الله لهم رجاء مبارك أن يعاينوا يسوع المسيح ربهم وأن يتحولوا إلى صورته. وهذه الحقيقة هي أساس المطالبة القوية بحياة طاهرة تقية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

"أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ. وَلَكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ. وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (١يوحنَّا ٢:٣، ٣). إن الوعد غير المشروط لكل المؤمنين بأن يصيروا مثل ابن الله يجب أن يكون أكبر باعث ممكن لحياة قداسة.

يفكر غير المخلصين (وكثير من المخلصين) بالسلوك بدافع الإذعان للقواعد الأخلاقية. ولكن ليس في مطالب الله أي نوع من هكذا إذعان أو خضوع. إن المطالبة هي بحياة جديدة على مستوى إلهي على الرغم من أن المخلصين لا يزالون في هذه الدنيا. ولكن هذه المطالبات لا تكون ذات معنى إلا للشخص الذي يدخل إلى هذه الأمور بالخلاص. وهذا سبب آخر في أن السلوك ليس مسألة جديرة بالاعتبار إلى أن يخلص المرء.

خلافاً لما ذكرناه، وبحسب الناموس الذي أعطي لموسى، كانت البركات من الله مشروطة بما كان الإنسان يفعله. فإن أطاع الناموس يباركه الله. وإذا ما أخفق في إرضاء الناموس يصبح عرضة للعنات. وكان موسى قد تنبأ بالبركات واللعنات كلتاهما على إسرائيل في حديثه الوداعي الأخير لهم (تثنية، الإصحاح ٢٨).

هناك أفكار مشوشة مختلطة كثيرة، بل كثيرة جداً، لأن الناس لا يميزون بين النظام تحت شريعة موسى ونظام الله تحت نعمة فتحت الناموس، ولآن موقف الإنسان أمام الله يستند إلى أعماله، كان من الممكن أن يخسر الإنسان مكانته وبركاته، كما يمكن أن يتلقى اللعنة. وبسبب هذا الوضع كان الدافع للسلوك هو الخوف من العقاب. وهذا الدافع في الواقع هو الباعث الأساسي لكثير من سلوكيات البشر. إنه الحافز المسيطر على حياة معظم الناس. فمن الطبيعي إذاً أن يفكر غير المخلص بأن الخوف هو الدافع وراء السلوك الورع، ولكن إذا كان المخلص لا يزال يفكر بالخوف من الدينونة معتبراً إياه الباعث الحافز على السلوك فإن ثمة ضلال كبير في حياته. إن الدافع إلى السلوك المسيحي الحقيقي هو المحبة. كتب بولس يقول: "محبة المسيح تحصرنا" (٢ كورنثوس ٥: ١٤)[١]. فالمحبة هي التي جعلت الله يبذل ابنه لئلا يهلك كل من يؤمن به (يوحنا ٣: ١٦). ومحبة المسيح هي التي جعلته يقدم على بذل ذاته ليخلص الهالكين. وبمحبة الله كل من يخلصون يُدعون أولاد الله (١ يوحنا ٣: ١). إنها المحبة الإلهية هي التي عبرت عن نفسها في كل ما حدث لأجل خلاص الإنسان ولكل ما يحدث ولكل ما سيحدث لإتمام عمل الخلاص.

ذلك الخوف ليس هو الباعث أو الدافع للسلوك المسيحي كما يتبين من القول: "إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضاً لِلْخَوْفِ بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: «يَا أَبَا الآبُ!»" (رومية ١٥:٨). "لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ" (٢تيموثاوس ٧:١).

فالسلوك المسيحي، إذاً، هو نتيجة ما يفعله الله لخلاص الإنسان. المحبة، وليس الخوف، هي الدافع الحقيقي للسلوك. فهذان يتناقضان كلاهما مع الآخر، ولكن "لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ" (١يوحنَّا ١٨:٤).

---

[١] – "محبة المسيح تحصرنا": "The love of Christ constraineth us": الترجمة العربية الأوضح هي "محبة المسيح تقيّدنا".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل التاسع عشر

ماذا تعنى كلمة هالك؟

قال يسوع عن نفسه: "لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ" (لوقا ١٩:١٠). ويكتب بولس قائلاً: "وَلَكِنْ إِنْ كَانَ إِنْجِيلُنَا مَكْتُوماً، فَإِنَّمَا هُوَ مَكْتُومٌ فِي الْهَالِكِينَ" (٢كورنثوس ٤:٣). وكلمة "هالكين" هنا تستعمل للأشخاص، وتخبرنا عن حالة أولئك الأفراد في علاقتهم مع الله. فبما أن يسوع جاء يبحث عنهم، من الواضح إذاً أن أولئك الهالكين بعيدون عن الله بلا ريب. فلم ينالوا منافع إنجيل النعمة للبشرى السارة بخلاص مجاني محجوب عنهم لأنه فكرهم قد أعماه إله هذا العالم (٢ كورنثوس ٤: ٤). وبما أن هذه الكلمات تنطبق على أولئك الذين لم يخلصوا بعد، فإنه من الطبيعي أن يليها القول بأن من لم يخلصوا هم هالكون.

لا يصير الناس هالكين بسبب أي عمل قاموا به. إنهم هالكون إلى أن يخلصوا. فقط آدم وحواء صارا هالكين وبهما صار الجنس البشري برمته كذلك. وجاء يسوع المسيح إلى العالم لكي يخلص البشر من حالة الهلاك التي يعيشونها.

وطالما أن أولئك الهالكين ليسوا مخلصين، فالهلاك يعني أولاً أن يكون الإنسان محروماً من جزء أوكل المنافع العظيمة، كما أوضحنا، التي يصيب الإنسان من جراء الخلاص. ولكن له معنى أكبر من ذلك وكما أن بضعة فقط يدركون سعة ما يحتوي عليه الخلاص، فكذلك أيضاً بضعة وحسب يدركون ما معنى الهلاك وكم هو مرعبٌ المصير الذي سيؤول إليه الهالكون.

تقدير الله لحالة الهالكين الحالية

يتضمن الخلاص تحريراً للإنسان من سلطة الظلام (انظر الفصل V). ولذلك فالهلاك يعني أن يكون المرء في عالم يسيطر عليه أو يحكمه الشيطان وبالتالي أن يكون خارج ملكوت الله. الهلاك هو أن يكون الإنسان في ذلك العالم الحافل بمجمله على العداوة نحو الله.

ويعطي الله، بكلمته، تقديراً لحالة الهالكين الحالية. فيُقال أنهم أموات في الآثام والخطايا (أفسس ٢: ١، ٥). والموت في الكتاب المقدس يعني دائماً الانفصال. الموت الجسدي يعني انفصال الروح عن الجسد. والموت الروحي يعني انفصال الروح عن الله، الموت الثاني (انظر رؤيا ٢٠: ١٤) يعني الانفصال النهائي للروح والجسد عن الله. فأن تكون ميتاً في الخطايا والآثام يعني أنك ميت روحياً – أي منفصل روحياً عن الله.

عرّف أحدهم الموت بأنه عدم التواصل مع البيئة. فالموت الروحي هو أن تكون خارج التواصل مع الله.

عندما أخذ آدم وحواء الثمرة المحرمة (تكوين ٣: ٦) ماتا روحياً. وفصلتهما الخطيئة عن الله. ومنذ ذلك الحين فصلت الخطيئة الإنسان عن الله. ولذلك فإن من لم يخلصوا هم أموات في الآثام والخطايا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

والخطيئة هي ليست فقط على شاكلة الخطايا الفادحة كالقتل والسكر والزنا والتزوير والرشوة وما شابه، بل أمور كثيرة أخرى قد لا تعتبر خطايا. فكل ما لا يرقى إلى مستوى كمال الله وقداسته هو خطيئة. ويقول الكتاب المقدس: "الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللهِ" (رومية ٣:٢٣). فحتى أكثر الناس أخلاقية وتهذيباً منفصلون عن الله بالخطيئة.

وعلاوة على ذلك فإن كل إنسان هو خاطئ بالطبيعة، لأنه عضو من نسل خاطئ منحدر من آدم، الخاطئ الأصلي. وإلى أن يسوي أي إنسان مسألة الخطيئة مع الله، فإنه يبقى منفصلاً عن الله بسببها.

أن يكون المرء ميتاً في الآثام والخطايا يمكن فهم معناه من خلال موقف آدم المتغير من الله بعد أن أخطأ. فقد اختبأ من حضرة الله بين الأشجار في الجنة لأنه كان خائفاً (تكوين ٣: ٨ – ١٠). أولئك الأموات روحياً خائفون من الله. هناك شيء عميق في قلبهم، ولو كان ساكناً أحياناً، يجعل المخلص، كما كانت الحال مع آدم، يشعر بالخوف من لقاء الله. وقليلون هم الذين يدركون ذلك، فالله الذي سعى وراء آدم بدافع محبته، هو نفس الله الذي يبحث بدافع المحبة عن الهالكين لكي يأتي بهم إلى انسجام كامل واتحاد معه.

إن الهالك هو بدون المسيح، وليس له رجاء، وبدون الله في العالم (أفسس ٢: ١٢). وأن تكون بدون المسيح يعني أن تكون بدون الوسيلة الوحيدة للمجيء إلى الله وتلقي الفوائد التي يقدمها. قال يسوع: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي" (يوحنَّا ١٤:٦). أن تكون بدونه يعني ألا يكون لديك أمل فيما يتعلق بالمستقبل. أن تكون بدون خالق أو محيي للإنسان والكون. إنه يعني أن تكون بدون الله كآب. ويعني أيضاً أن تكون "بعيداً" عنه (أفسس ٢: ١٣). نعم، هؤلاء الذين هم بدون الله لا يزال لديهم إمكانية التمتّع بكثير من تدبير الله وعنايته ولكن ليس لهم حق بالمطالبة بالمعاينة والتدبير من الله. ليس لهم وقوفٌ أمامه لأنهم ينتسبون إلى مملكة متمردة. وفقط باسم يسوع المسيح يستطيع أي إنسان أن يطلب من الله أي شيء. قال يسوع: "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ مِنَ الآبِ بِاسْمِي يُعْطِيكُمْ." (يوحنَّا ١٦:٢٣). لا يستطيع الهالكون أن يطلبوا باسم من لو يقتبلوه.

أولئك الذين يخلصون قد دُعيوا للخروج من الظلمة إلأى نور الله العجيب (١ بطرس ٢: ٩). لا يزال غير المخلصين في العتمة. ويُقال أنهم "مُظْلِمُو الْفِكْرِ، وَمُتَجَنِّبُونَ عَنْ حَيَاةِ اللهِ لِسَبَبِ الْجَهْلِ الَّذِي فِيهِمْ بِسَبَبِ غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ." (أفسس ٤:١٨). قد يكون الناس مفكرين عقلانيين فيما يتعلق بالأشياء التي تجري في هذا العالم ولكن ليس لديهم فكرة عن الأمور الروحية. إله هذا العالم قد عمّم عقول أولئك الذين يؤمنون لئلا يشرق عليهم نور إنجيل المسيح المجيد (٢ كورنثوس ٤: ٤).

إن غير المخلصين يُدْعون أولاد أو أبناء المعصية (أفسس ٢: ٢. وذلك لأنهم "لاَ يُطِيعُون إنجيلَ (أو الأنباء السارة) رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (٢تسالونيكي ١:٨). ولأنهم عُصاة للإنجيل ويرفضون ابن الله فإنهم "بِالطَّبِيعَةِ أَبْنَاءَ الْغَضَبِ" (أفسس ٢:٣). " اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالاِبْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ " (يوحنَّا ٣:٣٦).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الحالة النهائية للهالكين

إن هؤلاء الذين لا يبالون بإنجيل الرب يسوع المسيح بل يرفضون الخلاص "سَيُعَاقَبُونَ بِهَلاَكٍ أَبَدِيٍّ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ وَمِنْ مَجْدِ قُوَّتِهِ" (٢ تسالونيكي ١:٩). وهذه الحالة أبدية. هناك فرصة في الحياة الحاضرة ليخلصوا ويرجعوا إلى الله، ولكن عندما يحدث الانفصال الأخير سوف لن تكون هناك مثل هكذا فرصة متاحة لهم وهذا الانفصال ليس فقط عن حضرة الرب، بل إنه أيضاً عن قدرته وبالتالي عن كل الفوائد التي تنبع منه.

يفكر كثيرون باستخفاف بحالة انفصالهم عن الله. ويرون أنه لا تربطهم به أية علاقة الآن ولا يعترفون بأنهم ينالون أي شيء منه يعتقدون أنهم يمكن أن يفلحوا جيداً بدونه. وقلائل هم الذين يدركون أنهم يعولون عليه كثيراً ويتلقون منه الكثير في كل لحظة من حياتهم. فالهواء الذي يستنشق هو الذي صنعه. والمطر الذي يسقط والشمس التي تشرق هو من يرسلها. إنهم يسمّون هذه بالطبيعة، وهي كذلك فعلاً، ولكن الله هو من جاء بها إلى الوجود ويؤازرها جميعاً بقوته. وبمعزل عن عناية الله وتدبيره لأجل الإنسان، سيموت كل مخلوق في الحال.

عندما ينفصل الإنسان عن مجد قدرة الله فإنه لن يستفيد ولو بمقدار ذرة من عناية الله، وسيكون المخلوق منفصلاً عن كل جوانب تدبيره الإلهي. هذه الحالة تُسمى "قتام الظلمة إلى الأبد" (يهوذا ١٣). ولن يكون هناك شعاع نور يخترق الظلام الدامس المطلق، وما من قطرة مطر تروي ظمأ الإنسان الذي لا يُروى، وما من نجمة صبح تشير إلى انبلاج نهار جديد بعد تلك الليلة الأبدية.

يُوصف الإنسان الهالك في تلك الحالة أيضاً بأنه مُلقىً في بحيرة النار. ويرد في الكتاب المقدس أن جميع "مَنْ لَمْ يُوجَدْ مَكْتُوباً فِي سِفْرِ الْحَيَاةِ طُرِحَ فِي بُحَيْرَةِ النَّارِ" (الرؤيا ٢٠:١٥). يقول البعض أن هذه مجرد صورة مجازية وحسب. إن كان الأمر كذلك، فإن هذا يجعل وضع الإنسان أكثر خطراً، لأن الواقع يكون دائماً أشد وطأة من الصورة الرمزية. ويجري الحديث أيضاً عن ذلك الوضع بأنه "... جَهَنَّمَ النَّارِ حَيْثُ دُودُهُمْ لاَ يَمُوتُ وَالنَّارُ لاَ تُطْفَأُ" (مُرقُس ٩:٤٧، ٤٨). وكذلك "... الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ" (مَتَّى ٨:١٢).

إن غير المخلصين جميعهم تحت الدينونة. "اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" (يوحَنَّا ٣:١٨). وهم يعيشون الآن تحت حُكمٍ معلّق، ولكن الإدانة يجب تنفيذها من دون ريب ما لم يعودوا إلى الله وباتكالهم عليه يتخذون يسوع المسيح مخلصاً لهم.

إن جوهر الخطيئة يتبدّى في الرغبة في الاستقلال عن الله. وإن حالة الهالك النهائية لن يكون فيها اعتماد على الله. وليس الجحيم، إذاً أكثر أو أقل من تحقيق لرغبة الإنسان والنتيجة النهائية لسلوكه الشخصي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

الفصل العشرون

كيف ننجو إن أهملنا

في الفصول السابقة أشرنا إلى عظمة الخلاص. وإن الخلاص لا يُتوّج إلا بالأبدية، ليس فقط بحضور الله، بل أيضاً على صورة ومثال ابنه وفي اتحاد كامل مع الله الابن والله الآب. وقد أظهرنا أيضاً أن هذا الخلاص ممكن ومتاح للجميع. لقد أنجزه الله بشكل كامل لصالح الإنسان بيسوع المسيح وهو يُعطى كهبة مجانية لكل من يقبله على هذا النحو. الشرط الوحيد المفروض على الإنسان هو الإقرار بحاجته الشخصية له وقبوله. وأخيراً، وصفنا رعب الدينونة، بل وحتى انفصال الإنسان الأبدي عن الله وعنايته كخالق ومخلص. هناك نقطة واحدة متبقية علينا أن نتدارسها. ألا وهي الاحتمال المخيف باحتمال الفقدان الكامل لمنافع الخلاص وتحمّل تبعة الدينونة المريعة التي سيفرضها الله.

"لأَنَّهُ إِنْ كَانَتِ **الْكَلِمَةُ** الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ صَارَتْ ثَابِتَةً، وَكُلُّ تَعَدٍّ وَمَعْصِيَةٍ نَالَ مُجَازَاةً عَادِلَةً، **فَكَيْفَ نَنْجُو نَحْنُ إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصاً هذَا مِقْدَارُهُ**، قَدِ ابْتَدَأَ الرَّبُّ بِالتَّكَلُّمِ بِهِ، ثُمَّ تَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الَّذِينَ سَمِعُوا" (العبرانيين ٢:٢، ٣). إن أول فكرة نجدها هنا هو أنه بدون الخلاص ليس هناك نجاة من دينونة الله. فعلى الإنسان أن يقبل خلاص الله وإلا عليه أن يواجه الله كقاضٍ. ويتجاهله لذلك فإنه لن يكون لديه سبب قانوني صحيح لتجنّب العقاب.

الفكرة الثانية والتي وردت توّاً، هي الاحتمال الرهيب بتجاهل خلاص الله العظيم. إن الكلمة المستخدمة في المقطع الكتابي هي "الإهمال". وهي ليست الرفض. فالذين يهلكون بسبب إهمالهم موضوع الخلاص هم أكثر بكثير من الذين يرفضونه. ولعل قلة قليلة نسبياً حقاً يواجهون المسألة وينبذونها عندئذ طواعيةً. إن معظم الناس يسوّفون ويؤجلون. عندما وَقف الرسول بولس أمام فيليكس، "كَانَ يَتَكَلَّمُ عَنِ الْبِرِّ وَالتَّعَفُّفِ وَالدَّيْنُونَةِ الْعَتِيدَةِ أَنْ تَكُونَ، ارْتَعَبَ فِيلِكْسُ وَأَجَابَ: «أَمَّا الآنَ فَاذْهَبْ وَمَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ أَسْتَدْعِيكَ[1]»" (أعمال الرسل ٢٥:٢٤). لكن ليس هناك أي تسجيل لأوان ملائم أكثر بالنسبةِ لفيليكس.

أحد أعظم المخترعين في الجيل الماضي رُوِيَ عنه أنه قال أنه سيكرس السنوات الخمس الأخيرة من حياته لدراسة الدين. وبما أنه لم يتلقّ أي إنذار يشير إلى وقت بدء هذه السنوات الخمس فإنه مات دون أن يحصل على أدنى فكرة عن الموضوع الأهم ألا وهو الخلاص.

إن العالم يندفع في تهوّر محموم نحو الأبدية دون أن يفكر بموضوع الجلجثة والمسيح الذي مات هناك لعلهم يحيون. إنهم ذاهبون إلى موت أبدي – انفصال الجسد والروح كلاهما عن الله وعن محبته بكل خيريتها، وذلك كله لأنهم أهملوا قبول خلاصه العظيم.

ومع هكذا قضايا على المحك، لماذا يهمل الكثير من الرجال والنساء والأطفال التفكير بموضوع خلاص الله المجاني وقبوله؟ ولماذا يذهب البعض إلى حدّ رفضه عن قصد؟

[1]– مَتَى حَصَلْتُ عَلَى وَقْتٍ: الترجمة العربية الأدق للنص الأصلي هي: "متى حصلتُ على أوان (وقتٍ) ملائم".

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

ويبدو صحيحاً القول أنه مهما كان عقل الفرد، فإنه ينتمي إلى إحدى زمرتين: الأولى تلك المجموعة من الناس الذين يحبون الظلمة (يوحنا ٣: ١٩). والظلمة كما يصفها الله، هي ليست مقتصرة على الأشياء التي يقوم بها العالم السفلي. فيسوع جاء إلى العالم لكي يشرق كالنور في الظلام (يوحنا ١: ٥). وبمعزل عنه يكون الإنسان في الظلمة. وهذا لا يعني، كما سبق وقلنا، الظلمة الفكرية، لأن هناك استنارة فكرية كثيرة في العالم. بل إنها تعني الظلمة الروحية. هناك أشياء كثيرة في الثقافة، والتهذيب، والمغامرة، والتقدّم البشري، والإنجازات، يحسبها الله من أعمال الظلمة. هذه الأشياء ليست خطأ في حد ذاتها ولكن البشر يعشقون هذه الأشياء لدرجة أنه لا يمكنهم وضعها جانباً والتفكير في الأمر البالغ الأهمية: أي الخلاص. إن البشر يحبون متع هذا العالم ولذلك فإنهم يهملون التفكير بخيرهم الأبدي. ففي هذا العالم أشياء كثيرة يتعلق بها الناس ويسعون وراءها ويجدون متعة فيها: كالمنصب الرفيع، والشرف، والشعبية، والإنجازات، ووسائل التسلية والرياضة على سبيل المثال وليس الحصر. ولكن عندما سيزول هذا العالم ستتلاشى كل هذه المتع. ستكون قد ذَوَت قبل زمنٍ من وقت الإنسان، لأن أيامه على الأرض معدودة. لم يبقَ شيء بعد. والأسوأ من ذلك أن خلاص الله العظيم قد أهمله الإنسان حتى فات أوان قبوله.

السبب الآخر وراء تجاهل كثيرين لخلاص الله العظيم هو الاعتقاد بأن الإنسان يمكن أن يخلص بجهوده الذاتية. يحاول كثيرون أن ينالوا الخلاص استناداً إلى صلاحهم. وهم غالباً ما يكونون على استعداد لتقديم تضحيات كبيرة ويمتنعون عن كل المتع الدنيوية لينالوا حظوة في عيني الله ولينالوا خلاصه. بهذا الجهد الذي يبذلونه، يتجاهلون خلاص الله. فطالما أن الإنسان يخفق في إدراك عبثية حتى أصغر محاولة بشرية على الإطلاق لتحقيق الخلاص فإنه يستمر في تجاهل أو رفض خلاص الله.

كما ذكرنا سابقاً، إن الفريسيين لم يخلصوا: فقد رفضوا خلاص الله، لأنهم كانوا يدأبون على أن يقيموا برّهم الذاتي. وربما يعرف التاريخ جماعة دينية أكثر منهم غيرةً على الإله الحقيقي، ولكنهم كانوا يعتمدون على صلاحهم الشخصي وما كانوا يشعرون بالحاجة إلى خلاص الله المقدّم مجانياً.

إن رغبة الإنسان في نيل الخلاص بأعماله التي يعتقد أنها تؤهله لذلك لها جذورها في عدم رغبته بالاعتراف بهلاكه وبحالة اليأس الكاملة التي يعانيها. فالإنسان يكره الإقرار بأنه خَرِبٌ هالك بسبب الخطيئة. إنه يمقت الاعتراف، بخلاف بولس، بأنه في داخله "لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ أَيْ فِي جَسَدِي شَيْءٌ صَالِحٌ " (رومية ٧:١٨). يأبى الناس أن يقرّوا بإفلاسهم طوعياً في محكمة القاضي الأبدي وأن يعترفوا بأنهم لا يملكون شيئاً وبأن ديونهم هي أكبر مما يستطيع إنسان أن يدفعها. إنهم ليسوا على استعداد لأن يكتبوا كلمة "بدون قيمة" كصفة لأعمالهم الصالحة وإنجازاتهم. إنهم يريدون أن يقدموا لله دفعة صغيرة فقط ويكتفون بذلك رغم أنها لا تبلغ نقطة من بحر.

أيٌّ كان السبب، وسواء كان انشغالهم أو إنهاكهم من جراء عشقهم للأشياء الدنيوية، أو محاولة منهم لنيل الخلاص، تبقى النتيجة نفسها. فالخلاص قد أُهمِل ودينونة الله واقعةٌ لا محالة.

وما يستتبع ذلك قد قلناه للتو وأكدنا عليه إلا أنه بالغ الأهمية ولذلك نكرره هنا بعبارة مختلفة مختتمين الكتاب بهذه الفكرة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved

إن البشر هالكون لسبب وحيد ألا وهو أنهم لا يقبلون يسوع المسيح الذي هو الطريق إلى الله الآب، والذي لا خلاص بدونه.

ليس الناس هالكين لأنهم ليسوا صالحين بما فيه الكفاية ليستحقوا السماء. وليسوا هالكين لأنهم من ذرية آدم الساقط، وليسوا كذلك بسبب خطاياهم التي ارتكبوها، مهما كانت بشاعة هذه الخطايا. وليس السبب هو أنهم قد وُلِدوا خطاة. فالدينونة التي وقعت على الإنسان بسبب كل هذه الأمور قد أزالها ابن الله إذ ألقى على نفسه تلك الإدانة على الصليب، فإن الله يعرض حياة أبدية لكل من يقتبل ابنه على أنه الشخص الذي حقق كل مطالب عدالته. وأولئك الذين لم يتقبلوه سيُدانون ويُعاقبون بحرمان أبدي من حضور الله ومجد قدرته (٢ تسالونيكي ١: ٩). "... الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ **لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ** بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" (يوحَنَّا ١٨:٣). "... الَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ" (يوحَنَّا ٣٦:٣). "وَلَيْسَ بِأَحَدٍ غَيْرِهِ الْخَلاَصُ. لأَنْ لَيْسَ اسْمٌ آخَرُ تَحْتَ السَّمَاءِ قَدْ أُعْطِيَ بَيْنَ النَّاسِ بِهِ يَنْبَغِي أَنْ نَخْلُصَ" (أعمالُ الرسل ١٢:٤).

قال بيلاطس في أحد الأيام وقبل حوالي ألفي سنة: "ماذا أفعل بيسوع؟" هذا السؤال ينبغي على كل إنسان أن يجيب عنه. لا يمكن للإنسان أن يتهرّب من هذا السؤال. على الإنسان أن يقبل يسوع وإلا فإنه سيهمله وبالتالي يرفضه. ليس من حل وسط في الموضوع.

قد يسأل بعض الأشخاص: كيف يمكن لله الحي أن يرسل الناس إلى الجحيم؟ السؤال الذى يجب بالأحرى أن نسأله هو: كيف يمكن لله، الذي بذل ابنه بدافع المحبة لإنقاذ البشر من الجحيم، ألا يلقي بهم هناك عندما يرفضون عنايته لإنقاذهم من الجحيم؟

عزيزى القارئ.. كيف تستطيع أن تنجو إذا رفضت خلاصاً هذا مقداره؟

ولكل من لم يقبل يسوع المسيح بعد وخلاص الله به، نقول: لا تزال هناك دعوة أخيرة في الكتاب المقدس للجنس البشري أن "**مَنْ يَعْطَشْ فَلْيَأْتِ. وَمَنْ يُرِدْ فَلْيَأْخُذْ مَاءَ حَيَاةٍ مَجَّاناً**". (سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ١٧:٢٢).